والكاظمين الغيظ

كلمات في رحاب الإمام الكاظم والإمام الجواد عليهما السلام

يحيى غالي ياسين

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين ، محمد صلى الله عليه واله وعلى أهل بيته الطاهرين ..

يبقى الحديث عن أهل البيت والكتابة فيهم وتناقل أخبارهم عليهم السلام على رأس أولويات واهتمامات المسلم – هذا ما ينبغي - ، فبهم يتقرب المسلم الى ربه وعن طريق سيرتهم يفهم دينه وبالاحتذاء بسنتهم يستطيع ان يجتاز عقبات دنياه وآخرته ، فهم الانموذج الكامل للبشرية والمثل الأعلى للإنسانية .. ورغم كل ما قيل فيهم وكُتب عنهم الا ان تغير الزمان وتبدل الايام كفيل بظهور مالم يظهر عنهم من قبل ، ووضوح ما لم يتضح في السابق ، فهم ثقل القرآن وعدله ، والقرآن كما ورد يفسره الزمان ، سيرتهم متجددة لأنهم حق لا باطل يعتريه ، ونور لا ظلمة فيه ..

لا نستكثر الكتابة في ائمة أهل البيت ، بل كل ما يكتب فيهم قليل ، فالأمم الحيّة هي التي تعطي عظمائها حقهم الذي يليق بهم ، فالشاعر المسرحي الإنجليزي وليم شكسبير **(1616-1564م)** والذي أنتج في حياته **37** مسرحية إلى جانب مجموعة من

القصائد، تنشر عنه في كل سنة أكثر من 5475 بحثاً ومقالة بحسب بعض الاحصاءات (مجلة المنتدى، دبي عدد 176 ص50 **) . في حين نرى تواضعاً في أعداد ما كُتب عن الائمة المعصومين ع على طول خط التاريخ ، لقد أنجز الباحث العراقي الشيخ عبد الجبار الرفاعي ، موسوعة استقصى فيها عناوين المؤلفات والبحوث التي كتبت عن أهل البيت (عليهم السلام) عبر أربعة عشر قرناً ، تحت عنوان (معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت) طبعت في اثني عشر مجلداً. وكشفت عن الأرقام التالية بالنسبة لعدد الكتب والمقالات عن كل واحد منهم:**

عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) : 546

عن الإمام علي ع : 4956

عن الإمام الحسن بن علي ع : 205

عن الإمام الحسين بن علي ع : 3215

عن الإمام السجاد ع : 399

عن الإمام الباقر ع : 69

عن الإمام الصادق ع : 331

عن الإمام الكاظم ع : 211

عن الإمام الرضا ع : 651

عن الإمام الجواد ع : 62

عن الإمام الهادي ع : 79

عن الإمام العسكري ع : 66

عن الإمام المهدي ع : 1145

لاحظوا مدى تواضع الأرقام ، خاصة لبعض المعصومين ع ، كالامام الباقر والجواد والهادي والعسكري ع .. ! ، ونكرر، أن هذه الأرقام لفترة ١٤٠٠ عاما .. !! ، اما اذا حذفنا المتكرر ، واعتماد اللاحق على السابق ، فلا استبعد ان تهبط هذه الأرقام الى دون النصف ..!

فهذا اذن تقصير كبير وهدر عظيم للطاقة في الأمة الإسلامية تقع مسؤوليته على المفكرين والمحققين وأصحاب الأقلام ، وعلى معاهد العلم ومحافل الثقافة ، وعلى دور النشر وجميع المراكز المهتمة بهكذا نشاطات في الساحات الشيعية والإسلامية والإنسانية .

نقدم بين يدي القارىء الكريم هنا مجموعة من الكتابات والمقالات وتحت عناوين متعددة تدور في فلك إمامين همامين من ائمة أهل البيت عليهم السلام ، باب الحوائج موسى بن جعفر ، وباب المراد محمد الجواد ، عليهم صلوات ربي وصلوات ملائكته وصلوات المؤمنين الى قيام يوم الدين ..

احتوى هذا الكُتيب على قسمين ، الأول يخص الإمام الكاظم عليه السلام وأسمينا هذا القسم بباب الحوائج ، والثاني يخص الإمام الجواد عليه السلام وأسميناه بباب المراد ..

لم نهتم كثيراً على نقل الروايات السردية التاريخية بقدر ما ركزنا على تحليل تلك الروايات ودراستها والخروج ببعض الدروس والملاحظات والإشارات المهمة بعد ذكر الرواية التاريخية بشكل مقتضب ومختصر . فحاولنا طرح بعض الاسئلة او الاجابة على البعض الآخر مما يتولد عن قارىء حياة الإمامين الكاظمين عليهم السلام .

اتبعنا الأسلوب المناسب للقراءة السريعة ، اي محاولة إيصال الفكرة بأقل الكلمات وأقصر العبارات ، وهي بالتالي لا تعدو عن ومضات سريعة وسُبحات خفيفة بحضرة الامامين الكاظمين عليهما السلام ..

تقبل الله طاعة كاتب هذه الحروف وقارئها ، ورزقنا الله ولايتهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة ، انه نعم المولى نعم المُجيب .

باب الحوائج

١٢٨ هج – ١٨٣ هج

٧٤٥ م – ٧٩٩ م

السيرة الكاظمية الشريفة : كيف نقرأها ..؟

كتابة وتدوين السيرة من أهمّ فروع كتابة التأريخ في الإسلام ، لما لها من أهمّية ومدخلية كبيرة في فهم الإسلام وترسيخ عقائده وتوضيح وتثبيت تشريعاته .

وبعد أن كان فنّ السيرة تحمله ذاكرة القلوب وتتناقله الألسن ، اصبح بعد ذلك علماً ثبّتته الكتب وسطّرته المخطوطات وأُجريت عليه البحوث والدراسات حتى صار لهذا التخصص قوانين لا تختلف كثيراً عن قوانين لغة الأرقام ومعادلات الرموز ..

ولا نريد التطرّق هنا لهذا العلم ، وإنما نحاول أن نأخذ منه بعض الإشارات والملاحظات ونتعلم من خلالها على الكيفية التي ينبغي

أن تُقرأ فيها سيرة شخصية إسلامية مرموقة تأخذ الرقم 9 (بعد اضافة الزهراء عليها السلام) في قائمة أهم وأعلى شخصيات هذا الدين الحنيف عند اتباع مدرسة أهل البيت ع .. فعن طريق علم السيرة نريد أن نعرف (كيف نقرأ سيرة الإمام الكاظم ع وماذا نقرأ عنها .. ؟) .

أول شيء يطلعنا عليه هذا العلم هو أن السيرة المكتوبة عن حياة هذا الإمام الهمام تنقسم على قسمين مهمّين هما :

القسم الأول : السيرة التأسيسية ، وهي الكتابات السردية التي تتناول حياة الإمام عليه السلام من ولادته وحتى استشهاده ، وتتعقب بشكل ترتيبي حياته وشؤون إمامته وتتطرق الى هويته الشخصية مثل تاريخ ومكان ولادته ووفاته ، اسم وأحوال أمّه وزوجاته وأولاده وأصحابه وأهمّ الأحداث والمواقف التي جرت معه أو في عصره والخلفاء الذين عاصرهم ، فضائله وشمائله وسجنه ومظلوميته .. وهكذا ، حتى وصيّته ووفاته ودفنه صلوات الله عليه ، وهذه التفاصيل تُذكر تارةً على نحو التحقيق والتثبّت من الأخبار الواردة بخصوصها وتارة تخلو من ذلك وتتسامح بها أو تكتفي بتحقيقات سابقة .

القسم الثاني : تحليلية أو نقدية ، وهي الدراسات التي تتناول البعد العمودي من السيرة وتحاول تفسير ما جاء في السيرة التأسيسية وتحليلها والخروج منها بالدروس والعبر والمواعظ وتعطي خلفيات كل مقطع من حياته الشريفة وأهدافه وغاياته المحصّلة وغير المحصّلة ، وقد يدخل هذا القسم في جانب تحقيقي مهم أيضاً خاصة عندما يمارس دور النقد بقوّة ، من خلال هذا النوع من القراءة

والكتابة يتم توظيف حياة الائمة توظيفاً نافعاً واستثماراً مفيداً في حياة الفرد والأمة وفي شتى الجوانب الدينية والحياتية ..

والسيرة التحليلية هي بمثابة التدبّر والتفسير للسيرة التأسيسية ، فكما أن فهم القرآن الكريم وحلّ رموزه واستخراج أحكامه وتوجيهاته متوقفة على التدبّر والتفسير والتأويل .. كذلك سيرة الأئمة الأطهار فإن دراستها وتحليلها والبحث فيها يخرجها من كونها سيرة شخصية إلى سيرة عامة يمكن أن تُحتذى وتتّبع .

فتحليل السيرة يحلّ لنا تناقض المواقف الذي يبدو في الوهلة الأولى من قراءة السيرة التأسيسية ، فالسيرة تنقل لنا مثلاً موقفين متناقضين - كما يبدو للوهلة الأولى - للإمام عليه السلام ، أحدهما مع صفوان الجمال حيث منعه أن يكري جماله للسلطة في الوقت الذي يسمح لعلي بن يقطين أن يكون رجل دولة في السلطة بل ينهاه أن يترك عمله .. !!

وتحليل السيرة يعطينا الوظيفة العملية التي تتطلبها الوقائع والأحداث التي يمرّ بها المؤمنون ، ومن خلالهِ يتحوّل لنا سجن الإمام الكاظم عليه السلام من مُعتقل إلى ساحة عمل ووظيفة تطلبّتها الإمامة في ذلك الحين ، يجعل من موسى بن جعفر سجّاناً ومن هارون اللارشيد مسجونا ..

وبالتأكيد أنّه كلّما كان القلم الذي يتناول تحليل ودراسة السيرة أكثر احترافاً كلّما كانت نتائجه أكثر نفعاً وأشرق نورا ..

نريد أن نبيّن أنّ القارىء لحياة الإمام الكاظم ينبغي أن لا يكتفي بقراءة الأخبار الواردة عن حياة وسيرة الإمام عليه السلام وإنّما

عليه البحث عن آراء العلماء حولها وما أفرزه المفكرون والمختصون منها سواء كان في الجانب التربوي والأخلاقي أو السياسي أو الفقهي أو العقائدي .. الخ ، فهذا جلّ ما ينفعنا من حياته الشريفة ..

وعلى قارىء السيرة الكاظمية الشريفة أن يأخذ بنظر الاعتبار التعليقات التالية :

▪ التعليقة الأولى : هنالك مسائل مهمّة ينبغي أن لا تُترك من قبل قارىء حياة الإمام عليه السلام ، ومنها مثلا :

- قضية الفرقة الإسماعيلية ، وهم الذين اعتقدوا بإمامة إسماعيل ابن الامام الكاظم ع ، وهو الأخ الذي يكبر الإمام الكاظم ع ، ومنها تتفرع مسائل مهمة حول هذا الانحراف الخطير في خط الامامة والأسس التي استندوا عليها والمخاطر التي تعرضت لها الطائفة وكيف تمت معالجة أمرهم وما هي المناقشات التي جرت مع أفكار هذا التوجه .. الخ ، وتلحقها فرقة الأفطحية والذين اعتقدوا بإمامة عبد الله الأفطح الأكبر سناً من الامام الكاظم ع عند استشهاد الامام الصادق ع .

- فرقة الواقفة ، وهم الذين وقفوا على إمامة الكاظم عليه السلام ولم يقرّوا بإمامة الرضا ع ، ولهذه الفرقة مساحة واسعة في تأريخ التشيع وقد اتخذت نقطة ضعف كبيرة في خاصرة الأمة ، فتحتاج اذن الى الاطلاع على متبنيات هذه الفرقة وتداعياتها وكيف تمت معالجة أمرها فكريا وتاريخيا ..

- دراسة بعض الأحداث المهمة التي حصلت في فترة إمامته عليه السلام وعلى رأسها موقعة (فخ) والتي اعتبرها الامام الجواد ع

من أفجع ما وقع على أهل البيت ع بعد الطف .. وكذلك ما ترتب على هذه الواقعة من نتائج وأحداث ، كإقامة دولة الأدارسة في المغرب العربي ..

- دعوى وخرافة تعدد زوجاته عليه السلام .

▪ التعليقة الثانية : لا بد من التنويه إلى أن قارىء السيرة لا يمكنه أخذ الأحكام الشرعية والوظيفة العملية لبعض المواقف والحالات بشكل مباشر كون هذا الأمر موكول للفقهاء أعزّهم الله .. نعم ، هنالك كلمات وأحاديث وقصص وأخبار واردة في حياته الشريفة تعكس اخلاقاً عالية ومستوى تربوي وروحي راقي تتعلّق بعبادته وزهده وصبره وتعامله مع الآخرين ودوره في المجتمع .. الخ كل هذا يمكن الاحتذاء به والتفاعل معه بشكل إيجابي .

▪ التعليقة الثالثة : كلّما كانت للقارىء ثقافة اسلامية أعلى كلّما كانت قرائته أعلى مستوى وأعمق فهماً وأكثر فائدة ، وهكذا بالنسبة للثقافات المتنوعة الرصينة وغير المشوّهة أو المحرّفة ، فإنّها ترفع من مستوى القراءة .

▪ التعليقة الرابعة : إمامة الكاظم ع هي حلقة من سلسلة تكاملية من الحلقات التي مثّلت الخلافة الشرعية في الإسلام ، فإنّ الأئمة عليهم السلام وإن تعدّدت أدوارهم لكن هدفهم واحد ، ولهذا فإنّ قراءة حياة جميع الأئمة بشكل واعي ومركّز يعطي معنى آخر لقراءة كل أمام على حده ..

هذه إشارات سريعة ومهمّة تسلط لنا الضوء على الكيفية التي ينبغي أن تكون عليها قراءة ودراسة حياة وسيرة موسى بن جعفر عليه السلام .. وسنعزز فكرة هذا الموضوع بالموضوع اللاحق ..

اهل البيت عليهم السلام ، بين السيرة والعقيدة

ثمّة نوع من عدم الإنسجام يجده القارىء عن أهل البيت عليهم السلام بين كتب العقيدة وكتب السير والتاريخ ، قلنا بعدم الانسجام ولا نقول بالتناقض او التعار ض - الا ما ندر - ، فترسم كتب العقيدة في مخيلتنا هالة كبيرة من القداسة - وهم أهل للقداسة - الى الدرجة التي نكاد نصل بها الى حدّ الغلوّ واخراجهم عن دائرة الطبيعة البشرية .. في حين تطل علينا من الجهة الأخرى كتب السيرة والتاريخ بقصص واخبار عن شخصياتهم الطبيعية كبشر أو قادة وأعيان مجتمع ودين .. لهم ما لغيرهم في المجتمع وعليهم ما على الآخرين ..

نعم يتفردون بكثير من الفضائل والمكارم والصفات الحميدة التي تجعلهم متفردين بها فعلاً عن غيرهم ، ولكنهم على كل حال بشر

يعيشون عيشة طبيعية مع انفسهم وأسرهم واصدقائهم واعدائهم .. كما يعيش غيرهم ..!!

فهذا الفاصل وهذا الاختلاف بين النظرة العقدية والنظرة التاريخية كيف يُفسّر وكيف يتم التعامل معه ..!

والجواب سنحاول وضعه في نقاط :

١. علينا ان نستفيد من هذا الاختلاف في تصحيح وتهذيب بعض العقائد او لنقل التصورات العقائدية الخاطئة اتجاه اهل البيت والتي تضفي عليهم ما لا يقبلون هم لأنفسهم من الصفات والنعوت عليهم السلام ، ومن جهة اخرى نتعرف على المظلومية التي كانوا يعيشونها صلوات الله عليهم في ذلك الزمان وعدم اعطائهم حقهم من الإهتمام والاحترام اللازم ..

فالعقيدة الصحيحة لا تسلب عن أهل البيت بشريتهم ولا تنزههم عن طبيعتهم الإنسانية ، وكل ما عدا ذلك يجب نبذه وحذفه وإجراء التعديلات اللازمة عليه ، وطبيعتهم البشرية ايضا لا تسلب عنهم مقاماتهم النورانية ولا مراتبهم الربانية ..

ولقد انتقد القرآن الكريم هذا الالتباس بين التصورات العقائدية المشوّهة للأنبياء وطبيعتهم البشرية ، قال تعالى (وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ

الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) الفرقان ٧ ، ٨ ، ٩

٢. كتابة التاريخ او العقيدة بقلم محبّ غال أو مبغض قال - على حد تعبير أمير المؤمنين ع - كفيل بإحداث بعض المسافات وتعزيز هكذا اختلافات ، فهذا يشعر أنه مهما نحت من عبارات ونقش من كلمات لا يمكن أن تترجم مدى ايمانه ومحبّته لهم عليهم السلام ولهذا ينزلق قلمه الى ما لا ينبغي أن يذهب اليه (ۚ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) يوسف ٣١ ، وذاك يشعر بشعور مغاير فتراه يوغل في بشرية النبي او الإمام الى الحد الذي يعصي الله فيه (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) الاعراف ١٢

٣. طغيان الأسلوب الأدبي والخطابي والشعائري .. غالباً ما يكون سبباً في حدوث هكذا تطرف وهكذا ميول حادة الى اليمين او اليسار ، لأن هذه الأساليب تحرك المشاعر وتهيّج العواطف الى الدرجة التي يتعطل عندها التعقل والتفكير الصائب والمعتدل .

٤. كان أهل البيت ع حريصين على التعايش الطبيعي مع الناس ، فرغم كراماتهم الربانية وقدراتهم الاعجازية التي اكرمهم بها والتي ثبتت للقاصي والداني ، الا أنهم لم يستغلّوها ولم يحاولوا تمييز أنفسهم بها عن الآخرين ..

ورغم حرصهم هذا ظهرت لهم من المعاجز والكرامات الكثير والكثير ما تسبب في انحراف بعض معاصريهم عقائدياً ووقعوا بمعصية الغلوّ والشرك والعياذ بالله ، والمجال لا يسمح هنا بذكرها والتفصيل بها .. ولهذا صدرت عنهم صلوات الله عليهم تعليمات وتوجيهات تنظّم هكذا انحرافات وتعالج هكذا اختلافات ، فعن الامام الباقر ع : (يا معشر شيعة آل محمّد، كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي ويلحق بكم التالي) بحار الانوار ج ٦٥ ص ٧٨ ، وعن صادق العترة : (لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم فلن تبلغوا) البحار ج٢٥ ص ٢٧٩

٥. هنالك سبب دقيق نختم به ، وهو أن مرور الزمن وتطاول الأيام بطبيعته يضفي على الأمور والأحداث والشخصيات شيئاً من الأسطورية بالشكل الذي يسمح ان تتكون صورة خيالية او تتوقع بعض الاشياء الخارقة .. الخ ، هذا في الجانب العقائدي ، بينما التاريخ ينقل لنا الأمور بحسب زمانها وحجمها الطبيعي ولم ينظر لها بمنظار التلسكوب الزمني اذا صح التعبير ، وهنا يحدث هذا الفارق الذي حاولنا علاجه وذكر بعض أسبابه ..

هذه محاولة لتقريب ومعالجة المسافة بين التصور المنطبع في الذهن عن أهل البيت ع في كتب التاريخ والتصور والانطباع الذي نجده لهم في كتب العقائد ..

هل تعلم كيف أوصى

الإمام الصادق ع على إمامة الإمام الكاظم ع ..؟

تحظى وصية الإمام الصادق ع للإمام من بعده أهمية خاصة عند المحققين من أهل التاريخ وأهل العلوم الشرعية على السواء لأسباب ، من أهمها :

1. فتنة الفرقة الاسماعيلية التي ادّعت أن الوصية والإمامة هي في عقب (اسماعيل) الابن الاكبر للإمام الصادق ع ، وكذلك فتنة الاعتقاد بعبد الله الأفطح ، ابن الامام الصادق الاكبر عند وفاته وظهور ما يسمى بالفطحية ، وهؤلاء وقعوا بنفس اشتباه الاسماعيلية واعتقادهم بأن الامامة للأكبر ..!

2. طبيعة الاسلوب الخاص والجديد الذي استخدمه الامام الصادق ع في الوصية لولده الكاظم ع .. فبسبب تسلط بني العباس على أهل البيت وعزمهم على قتل الإمام الذي يأتي من بعد الامام الصادق ع ، اتخذ الامام ع عدة اساليب للوصية ، ولكن من أغربها هو :

.. الوصية لخمسة اشخاص من بعده احدهما الامام الكاظم ع ، وهذا الأسلوب هو الطريقة المناسبة حينها لحماية الامام الكاظم ع ، فبحسب رواية الكليني في (الكافي) كانت الوصية إلى خمسة : (المنصور - وحاكم المدينة - وعبد الله الأفطح - وحميدة زوجته - وموسى الكاظم (عليه السلام)) ..

فإنّ الإمام (عليه السلام) كان على علم أنّه إذا بلغ خبر وفاته إلى المنصور سيأمر حاكم المدينة بقتل من أوصى إليه - أي : بقتل من جعله خليفته في الإمامة ..

فلما أخبر حاكم المدينة المنصور بأنّه أوصى إلى خمسة وهو أحدهم ، انصرف - المنصور - عن غايته تلك ، وقال : ليس إلى قتل هؤلاء من سبيل ..

ولمّا سمع ذلك علماء الشيعة ، فإنهم أمعنوا النظر بالوصية وحللوها وخرجوا بالنتيجة القاطعة على إمامة الكاظم ع ، فمثلاً :

أبو حمزة الثمالي رضوان الله عليه ، قال محللاً للوصية ما مؤداه : أمّا الأوّلان فكانا للتقية ، والأفطح كان ناقصاً ، إذ كان أفطحاً ، والإمام لا يكون ناقصاً ، وهو مع ذلك كان جاهلاً بأحكام الشريعة ، والمرأة ليست بإمام ، فتعيّن موسى الكاظم ، وهو معنى كلام أبي حمزة عندما سمع خبر الوصية :

((الحمد لله الذي هدانا إلى الهدى، وبيّن لنا عن الكبير، ودلّنا على الصغير، وأخفى عن أمر عظيم)) ..

ولا يعزب عن الذهن أن هذه الوصية هي لحفظ الأمام الكاظم ع ، وإلّا فإنّ النصّ عليه ثابت للخواص سواءً كأحد خلفاء الرسول ص واله الذين نصّ عليهم بالاسم صلوات الله عليه أو بنص الامام الصادق ع لبعض اصحابه ..

ولكن من أعظم الدروس التي يمكن أن نأخذها من هذه الوصية هي تقبّلها بأذن واعية من قبل كبّار الشيعة وخلّص أصحاب الائمة عليهم السلام كأبي حمزة الثمالي رضوان الله عليه ، وهذا يدلّ على مدى تربيتهم وتتلمذهم على يد الائمة بالشكل الذي أصبح به منطوق الرواية الوارد عنهم مفهوماً تمام الفهم حتى وإن كان فيه شيء من الغموض وتعدد الأوجه ، اما ان نقع نحن في تيه مفاهيم الرواية ودهاليز تعدد أوجه معانيها وتأويلاتها فهذا مما يدل على وجود مشكلة في مستوى انتمائنا لهم .. فافهم

ومن هذه الوصية نفهم ايضاً مدى المضايقة التي كانت تفرضها السلطات الحاكمة على أهل البيت ومقدار الاذى الذي لحق بهم والخوف الذي يشعرون به على الرسالة وعلى المذهب الحق ، ولكن الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

ولا بد من التنويه الى أن هذا النوع من الوصية كان لعموم الشيعة ، أما وصيته لخصوص شيعته فهو النصّ على الامام الكاظم عليه السلام ، وقد ذكر الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد أسماء بعض هؤلاء الخواص فقال رحمه الله تعالى : " فممَّن روى صريح النصِّ بالإمامة من أبي عبد الله الصادق (ع) على ابنه أبي الحسن موسى (ع) من شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصَّته وبطانته وثقاته الفقهاء الصالحين رحمة الله عليهم أجمعين، المفضَّلُ بن عمر

الجعفي ، ومعاذُ بن كثير، وعبدُ الرحمن بن الحجاج ، والفيضُ بن المختار، ويعقوبُ بن السراج ، وسليمانُ بن خالد ، وصفوانُ الجمال، وغيرُهم ممَّن يطول بذكرهم الكتاب ، وقد روى ذلك من اخوته -الإمام موسى (ع)- إسحاق ، وعلي إبنا جعفر بن محمد (ع) وكانا من الفضل والورع مالا يختلف فيه اثنان . الارشاد / المفيد ج٢ ص٢١٦

وأمّا ذكره عليه السلام في الوصايا العامة التي ذكرت الائمة الاثنا عشر جميعهم فثابتة وبأكثر من خبر ، منها ما ذكره الكليني في الكافي :

عن عدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ أَبِي هَاشِمٍ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي (ع) قَالَ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) ومَعَه الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع) وهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِ سَلْمَانَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَجَلَسَ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ واللِّبَاسِ فَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - فَرَدَّ عَلَيْه السَّلَامَ فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْأَلُكَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي بِهِنَّ عَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ رَكِبُوا مِنْ أَمْرِكَ مَا قُضِيَ عَلَيْهِمْ وأَنْ لَيْسُوا بِمَأْمُونِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وآخِرَتِهِمْ وإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى عَلِمْتُ أَنَّكَ وهُمْ شَرَعٌ سَوَاءٌ

فَقَالَ لَه أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّجُلِ إِذَا نَامَ أَيْنَ تَذْهَبُ رُوحُه وعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يَذْكُرُ ويَنْسَى وعَنِ الرَّجُلِ كَيْفَ يُشْبِه وَلَدُه الأَعْمَامَ والأَخْوَالَ ؟

فَالْتَفَتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَجِبْه، قَالَ فَأَجَابَه الْحَسَنُ (ع) فَقَالَ الرَّجُلُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا الله ولَمْ أَزَلْ

أَشْهَدُ بِهَا وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّه ولَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِذَلِكَ وأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّ رَسُولِ اللَّه (ص) والْقَائِمُ بِحُجَّتِه وأَشَارَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ولَمْ أَزَلْ أَشْهَدُ بِهَا، وأَشْهَدُ أَنَّكَ وَصِيُّه والْقَائِمُ بِحُجَّتِه وأَشَارَ إِلَى الْحَسَنِ (ع)، وأَشْهَدُ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ وَصِيُّ أَخِيه والْقَائِمُ بِحُجَّتِه بَعْدَه، وأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ الْحُسَيْنِ بَعْدَه، وأَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وأَشْهَدُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدٍ، وأَشْهَدُ عَلَى مُوسَى أَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى أَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وأَشْهَدُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وأَشْهَدُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِأَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وأَشْهَدُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بِأَنَّه الْقَائِمُ بِأَمْرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وأَشْهَدُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ لَا يُكَنَّى ولَا يُسَمَّى حَتَّى يَظْهَرَ أَمْرُه فَيَمْلأَهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً، والسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ورَحْمَةُ اللَّه وبَرَكَاتُه، ثُمَّ قَامَ فَمَضَى فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ اتْبَعْه فَانْظُرْ أَيْنَ يَقْصِدُ فَخَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع) فَقَالَ: مَا كَانَ إِلَّا أَنْ وَضَعَ رِجْلَه خَارِجاً مِنَ الْمَسْجِدِ فَمَا دَرَيْتُ أَيْنَ أَخَذَ مِنْ أَرْضِ اللَّه فَرَجَعْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) فَأَعْلَمْتُه فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَتَعْرِفُه قُلْتُ اللَّه ورَسُولُه وأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ قَالَ: هُوَ الْخَضِرُ (ع) .

الكافي ج١ ص ٥٢٥

من أعوان الظلمة / السندي بن شاهك

من الغباء بمكان أن يخسر الإنسان دنياه وآخرته من أجل دنيا غيره ، هكذا هم أعوان الظلمة ، فهم في الدنيا كلاب الملوك ، وفي الآخرة حطب جهنم .. !!

وتاريخنا حافل بحمد الله - الذي لا يُحمد على مكروه سواه - بهذه النماذج البائسة ، ونحن من أبناء هذا الجيل عاصرنا هكذا شريحة ، فكانت سيماهم وأخلاقهم طافحة بالوضاعة والدناءة ، أسود أمام الناس وفئران أمام أسيادهم ..

السندي بن شاهك من بين أشهر الشخصيات التي أعانت الظالم على تعذيب وقتل ائمة أهل البيت ع في التراث الشيعي ، وكانت حصة هذا الوضيع هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وسيلقى هذا المجرم هذا الإمام المظلوم على عرصات يوم القيامة وسيعرف حينها عظم الذنب وبشاعة الجريمة التي اقترفها ..

وللملوك والمسؤولين الظلمة رؤيتهم الثاقبة في اختيار هكذا نماذج وطريقتهم الناجعة في تأهيلها وتدريبها على أن يكونوا أدوات طيّعة لمآربهم ومظالمهم .

ويذكر أن المنصور شكى لأحدهم ضعف حُجَّابه ، فقال له : « إستخدم قوماً وِقَاحاً ! قال : ومن هم ؟ قال : إشتر قوماً من اليمامة فإنّهم يربون الملاقيط ـ اللقطاء الذين لا آباء لهم ـ » ! ، فاشترى المنصور حاجبه الربيع ! والسندي بن شاهك .

فهو لقيط عُرف بإسم أمّه السنديّة شاهك ، نسبته الى أمّه وليس الى أبيه ، ربّاه المنصور تربية عباسيّة غليظة فكان السندي يتعجّب من تفضيل المأمون عليّاً عليه السلام على العبّاس ، فقال للفضل بن الربيع : « ما ظننت أنّي أعيش حتّى أسمع عباسيّاً يقول هذا ! فقال الفضل له : تعجّب من هذا ، هذا والله كان قول أبيه قبله » .

ويذكر أن السندي « أحضر رجلاً ادّعيَ عليه الرفض فقال له : ما تقول في أبي بكر ؟ فأثنى عليه ، قال : فعمر ؟ قال : لا أحبّه ، فاخترط السندي سيفه وقال : لمَ ويلك ؟ قال : لأنّه جعل الشورى في ستّة من المهاجرين وأخرج العبّاس منهم ، فشامَ سيفه ورضي عنه » !

وكان السند بن شاهك يكلّف بالمهمّات التي تحتاج إلى قمع وتجسّس ! لهذا السبب أمر هارون بنقل سجن الإمام الكاظم عليه السلام من عند الفضل بن يحيى الى السندي بن شاهك ، لأنّه أشدّ وأقسى ، وخالف بذلك العرف السياسي بأن تسجن الشخصيّات القرشيّة والهاشميّة عند وزراء الخليفة وشخصيّات دولته ، فقد حبس الإمام

الكاظم عليه السلام أوّلاً عند عمّه عيسى بن جعفر والي البصرة ، ثمّ عند وزيره الفضل بن الربيع ، ثمّ عند وزيره الفضل بن يحيى ، فتأثموا أن يقتلوه فأمر بحبسه عند السندي بن شاهك الشرطي القاسي ، وأمره أن يقتله !

وبعد قتل الإمام عليه السلام أعطى هارون للسندي جائزة فجعله والي دمشق !

قال عنه الذهبي في تاريخه : ١٤ / ١٨٥ : « السندي بن شاهك ، الأمير أبو نصر ، مولى أبي جعفر المنصور ، ولي إمرة دمشق للرشيد ، ثمّ وليها بعد المائتين ، وكان ذميم الخلق ، سندياً يجعل القول قول المدعي » ! أيّ يحكم له تصديقاً لقوله بدون بينة !

ونلاحظ أن الإمام الكاظم عليه السلام عبّر عن السندي بالرجس ، وأوصى أن لا يتولّى غسله وتكفينه ! « دعا بالمسيّب وذلك قبل وفاته بثلاثة أيّام وكان موكّلاً به ، فقال له : يا مسيّب إن هذا الرجس السندي شاهك سيزعم أنّه يتولّى غسلي ودفني ، هيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً » ! [عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٩٥] .

وهذه طائفة من النصوص الشرعية تتحدث عن هذه الشريحة - أعوان الظلمة - التي هي وراء أكبر ويلات الأرض ومعاناتها :

١ . عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوانهم ؟ من لاق لهم دواة ، أو ربط لهم كيسا ، أو مد لهم مدة قلم ، فاحشروهم معهم .

البحار : 75 / 372 / 17 .

٢. عن الإمام الصادق (عليه السلام) :العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم.

الكافي : 2 / 333 / 16 .

٣. عن الإمام الصادق (عليه السلام) – لما سئل عن عون الظالم للضيق والشدة – : ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء وإن لي ما بين لابتيها ، لا ولا مدة بقلم ! إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد .

الكافي : 5 / 107 / 7.

٤. عن الإمام الصادق (عليه السلام) : لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ، ويجبي لهم الفئ ، ويقاتل عنهم ، ويشهد جماعتهم ، لما سلبونا حقنا .

الكافي : 5 / 4/106.

٥. رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من أعان ظالما على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب : آيس من رحمة الله .

كنز العمال : 14950 .

٦. عن الإمام الصادق (عليه السلام) : من أعان ظالما على مظلوم لم يزل الله عز وجل عليه ساخطاً حتى ينزع عن معونته .

البحار : 75 / 373 / 22.

٧. عن الإمام الرضا (عليه السلام) : من أعان ظالما فهو ظالم ، ومن خذل ظالما فهو عادل .

البحار : 96 / 221 / 12 .

٨. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من أعان على ظلم فهو كالبعير المتردي ينزع بذنبه .

كنز العمال : 14951.

٩. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام .

كنز العمال : (14955 – 7596).

١٠. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من مشى مع ظالم فقد أجرم ، يقول الله : (إنا من المجرمين منتقمون) .

كنز العمال : 14953 .

١١. عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من علّق سوطاً بين يدي سلطان جائر جعل الله ذلك السوط يوم القيامة ثعباناً من النار طوله سبعون ذراعا ، يسلط عليه في نار جهنم وبئس المصير .

البحار : 75 / 369 .

دنيا هارون العباسي

عندما نقرأ عن هارون العباسي فإننا نقرأ عن مفارقة كبيرة في حياة هذه الشخصية ، ففي الوقت الذي أتسع فيه مُلك هارون وشسعت مملكته وتباعدت أطراف سلطانه ، نجد نفسه تزداد ضيقاً وإنسانيته تقف على حافة هاوية سحيقة العمق لا يكاد يجد موضع قدم يتشبث بها عن السقوط ، فبدل أن تبتعد عن كرسيّه حدود الخوف بترامي حدود مملكته نرى أنّ الرعب يملأ كيانه والقلق يغزوه الى عقر داره ويلزمه حتى في فراشه ..!

فهارون الذي يُخاطب السحاب : أمطري حيث شئت فخراجك لي ، يستيقظ من نومه مرعوباً من رؤيا يراها كأنّ رجلاً أسود أتاه وبيده

سيفه حتى وقف على رأسه وقال له : يا هارون أطلق موسى بن جعفر وإلّا ضربت علاوتك بهذا السيف .. مما حدا به أن يُرسل الى الإمام ويُخرجه من سجنه ، ولمّا حضر عليه السلام قال له هارون : ناشدتك بالله هل دعوت في جوف هذه الليلة بدعوات ؟ قال : نعم ، قال : ما هنّ ؟ فذكر له دعاءه فقال هارون : قد استجاب الله دعوتك .. (الخبر موجود في بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٤٥) ، دنيا من ورقٍ دنيا هارون ، وكأنَّ علياً عليه السلام يصفها :

إنما الدنيا كظلّ زائلٍ

أو كضيفٍ بات ليلاً فارتحل

أو كطيفٍ قد رآه نائم

أو كبرقٍ بانَ في أفقِ الأمل

أمّا سجن موسى بن جعفر حيث لا عرش مرصّع ولا حواشي رُكّع ، كان هو مقرّ القيادة الحقيقية وقتئذ ومكان السلطة الإلهية في الكون ، فقضية صالح بن واقد الطبري - من شيعة أهل البيت ع في عهد الإمام - واضحة عندما حبسه هارون حيث يقول : فوالله إني لفي بعض اللّيالي قاعد وأهل الحبس نيام إذ أنا به - بالإمام الكاظم ع - يقول : يا صالح ، قلت : لبيك قال : صرت إلى ههنا ؟ فقلت : نعم يا سيدي ، قال : قم فاخرج واتبعني ، فقمت وخرجت ، فلما صرنا إلى بعض الطريق قال : صالح يا رسول الله محبوس مظلوم فكرر .. ذلك ثلاثاً ، ثم قال : السلطان سلطاننا كرامة من الله أعطاناها ، قلت : يا سيدي فأين أحتجز من هذا الطاغية ؟ قال : عليك ببلادك فارجع إليها فإنه لن يصل إليك ، قال صالح : فرجعت إلى طبرستان ، فوالله ما سأل ولا أدري أحبسني أم لا ..!

السلطان سلطاننا كرامة من الله أعطاناها .. بهذا الكلام صرّح عليه السلام ، فهل يبقى لسجنه هو عليه السلام عنوان حقيقي ، أم يبقى لتسلّط هارون عليه موضوع واقعي ..! نعم ، الحقيقة والواقع في الحكمة التي أرادها الله تعالى من كل ما جرى ويجري على أولياءه وحججه على أرضه وخلقه .. فلا أرض لهارون ولا سماء ، والأمرُ كلّه لله تعالى ولمن ارتضى ، عن الإمام الباقر (عليه السلام) : ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم . " البحار : 75 / 311 / 15 " .

لنأخذ الدرس من دنيا هارون ، مال وسلطة ، من أجل هذه الدنيا الزائلة قتل موسى بن جعفر ، ومن أجل هذه الملك الافتراضي الذي لا حقيقة له خسر دينه وآخرته .

لم يشكل موسى بن جعفر عليه السلام بحسب المعطيات الأولية والحسابات المادية خطراً على دنيا هارون ، ولم تبدر من الإمام ما يهدد ذلك ، إلا ان الحرص الزائد عند هذا الطاغية وقارون الأمة جعله في اضطراب نفسي موحش انعكس سلباً على امامنا صلوات الله عليه ..

لنعرف ايضا أن اكثرنا لم ينل هذه الدنيا ولا عشر معشارها ، ولا نعرف ماذا نفعل ان حصلنا عليها ، هل نقتل موسى ابن جعفر ام لا ..!! هذا مضمون سؤال طرحه الشهيد الصدر الأول في احدى محاضراته بعنوان (حب الدنيا) ، هذه المعادلة (المال والسلطة في قبال الحق) لا ينجح بها ولا يستطيع عبورها بنجاح الا الأندر من الشمع الأحمر ..

موسى بن جعفر (عليه السلام) ، سلوة السُجَناء

السجنُ عقوبة كما هو عنوانه الأول ، وهو ضريبة يدفعها المجرمون ، ومصير يواجههُ المذنبون .. هو إجراء تأديبي وتارةً إنتقامي ، هذا هو مختصر تعريفه وجوهر فلسفته ..

ولكن .. عندما يُبتلى به شخص ليس مذنباً - بل ممن لا يعرف الذنب له بابا - وليس ممن تبقّى في نفسه وشخصيته مساحة تحتاج الى ترميم أو تعديل ، هو في أعلى درجات الرقي ، وعلى قمة معدّلات الكمال .. عندها سيكون للسجن فلسفةٌ أخرى .. !!

في هذه الحالة سيكون السجّان هو من يعاني نقصاً في تركيبتهِ ، وضيقاً في عقلهِ ووعيه ، هنا تُقرأ المعادلة من طرف النتيجة الى مقدماتها وليس العكس كما هو المُقرر ، تُقرأ كما يقرأها موسى بن جعفر ع في رسالتهِ لهارون : (إنه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلّا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتّى نفضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون) .

هذه الحالة التي قلبت لنا السجّان الى سجين ، في خضّم هذا الإضطراب وهذه اللفتة الزمنية غير الإعتيادية ، لا بدّ لنا من أن نبحث عن جوهرة ثمينة ودرّة مخفية بين أنقاض هذا الإنقلاب ، لا بد أن يكون هنالك رقماً صعباً تنتظره عدّة أصفار لينفجر لنا ذلك العدد الهائل ..!!

إنّه المبدأ .. العقيدة .. الإيمان .. الإرتباط بالله .. كل هذه - وغيرها بنفس الوزن - تجعل من القانون اليوسفي (.. رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) قانوناً ناجزاً ونافذا .. السجنُ أحب ..! ، بالله عليكم ، أي منّا يكون السجن لديه أحب من نزوة نفس وإسكات غريزة ..!

نعم .. يوسف الصديق فضّل السجن على أن يعصي الله وهو يعلم أن مستقبله في الدنيا سيكون أفضل ، وستركع له الشمس والقمر والكواكب ذات يوم ، يوجد أمل في هذه الحياة على الأقل .. ولكن موسى بن جعفر أحبّ السجن ليس هروباً من معصية فقط - محاباة الظالم - وإنما سعياً لعبادة (اللهم إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت ، فلك الحمد) ، أحبَّ السجن وهو ليس له أمل في حياة ولا منصب ..!

في لحظة غفلة أراد يوسف الصديق مخرجاً من السجن بالتوسط عند الملك عندما قال لصاحبه الذي فُرّج عنه (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) ، بينما إمامنا أبى واستعصم ان يتزلف لغير الله ، فعندما قيل له عليه السلام : لو كتبت إلى فلان يكلّم فيك الرشيد ؟ فقال : (حدّثني أبي عن آبائه : أن الله عزّ وجلّ أوحى إلى داود : يا داود ، إنّه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني ... إلّا وقطعت عنه أسباب السماء ، وأسخت الأرض من تحته) .. خرج يوسف الصديق ع وفي باب السجن ينتظره نعش الملوك ، ومركب الأمراء ، أمّا موسى بن جعفر فينتظره نعش المنية يحمله أربعة من السجانين ..

أمام أي سجينٍ عظيم نقف نحن ، وخلف أي قضبان نراه .. موسى بن جعفر .. سلوة السجناء

بأي تـهمة سُجن موسى بن جعفر ..؟

لو استقرأنا الأسباب الموجبة للسجن في القوانين السماوية والأرضية ما وجدنا فيها ما ينطبق او يثبت انطباقه على الامام الكاظم عليه السلام ، جاءتْ عقوبةُ السّجنِ في الإسلامِ في مَواردَ عديدةٍ نشيرُ إلى جملةٍ منها – بحسب ما جاء في جواب على سؤال وجه الى موقع الرصد العقائدي - :

1-الحبسُ في تُهمةِ القتلِ :

الرّواياتُ : عن الكافي بسندهِ عن السّكوني عن أبي عبد اللهِ (عليهِ السّلامُ) قال : " إنّ النّبيَّ ص كانَ يحبسُ في تُهمةِ الدَّمِ ستةَ أيّامٍ ، فإنْ جاءَ أولياءُ المقتولِ ببيّنةٍ وإلّا خُليَ سبيلهُ " [الكافي 7: 370 حديث 5]

وفي السّننِ الكُبرى للبَيهقيّ : عن أبي جعفرٍ : إنّ عليّاً ع قال : إنّما الحبسُ حتّى يتبيَّنَ للإمام ، فما حبسَ بعدَ ذلكَ فهو جَورٌ . [السّنن الكبرى 6: 53]

وفي الفَتاوى : قالَ الشّيخُ الطّوسيُّ في " النّهاية " : والمتَّهمُ بالقتلِ يَنبغي أن يحبسَ ستّةَ أيّام ، فإنْ جاءَ المدّعي ببيّنَةٍ ، أو فصلَ الحكمُ معهُ ، وإلا خُليَ سبيلُه . [النهاية : 744]

2- حبسُ السّارق في السّرقةِ الثّالثةِ بعدَ قطعِ يَدهِ ورِجلهِ في المرَّةِ الأولى والثّانية :

الرّوايات : في الكافي بسندهِ عن محمّد بنِ قيسٍ عن أبي جعفر (عليهِ السّلام) ، قال : قضى أميرُ المؤمنينَ ع في السّارق إذا سرقَ قُطِعتْ يمينهُ ، وإذا سرقَ مرّةً أخرى قَطِعَتْ رجلهُ اليُسرى ، ثمّ إذا سرقَ مرّةً أخرى سجنتهُ وتركتَ رِجلهُ اليُمنى يَمشي عليها إلى الغائطِ ويَدَهُ اليُسرى يأكلُ بها ويَستنجي بها . [الكافي 7: 222 الحديث 4]

وفي مُصنَّفِ إبنِ أبي شيبةَ : حدَّثنا أبو بكر ، قال : حدَّثنا جريرٌ عن منصورٍ عن أبي الضحى عن مغيرة عن الشعبي قالا : كان عليٌّ يقول : إذا سرقَ السّارق مراراً قُطِعَتْ يدهُ ورِجلهُ ثم إنْ عادَ إستودعتهُ السّجن . [المصنف 9: 509 الحديث 8309] /

وفي الفَتاوى : قال الشّيخ الصدوقُ في " المقنع " : وإذا أخذَ السّارقُ مرّةً قطِعَتْ يدهُ من وسطِ الكفِّ فإن عادَ قطِعَتْ رجلهُ من وسطِ القدمِ فإن عادَ استودعَ السجنَ ، فإن سرقَ في السّجنِ قُتِل . [المقنع : 105]

3-الحبسُ للمنعِ عن محارمِ اللهِ :

الرّوايات : جاءَ في " الفقيه " بسندهِ عن عبد اللهِ بنِ سنانٍ عن أبي عبد اللهِ (عليه السّلامُ) ، قال : جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ص ، فقال : إنّ أمّي لا تدفعُ يدَ لامس ، قال فاحبسها ، قال : قد فعلتُ ، قال : فامنعْ من يدخلْ عليها ، قال : قد فعلتُ ، قال : قيّدها ، فإنّك لا تبرّها بشيءٍ أفضلَ مِنْ أنْ تَمنَعها من محارِمِ اللهِ عزّ وجلّ . [من لا يحضرهُ الفقيه 4: 51 الحديث 6]

وفي الفَتاوى : أفتى الفقيهُ الحرُّ العامليّ بمضمونِ هذهِ الرّوايةِ في وسائلهِ فقالَ في تبويبِ الأبوابِ :" 48:بابُ جوازِ منعِ الإمامِ من الزّنا والمُحرّماتِ ولو بالحبسِ والقَيدِ". [وسائلُ الشّيعة 18 : 414]

وفي كتابِ " الفروق " للقرافيّ - من علماءِ أهلِ السنّة - : (ويشرّعُ الحبسُ في ثمانيةِ مواضعَ : .. الخامسُ : الحبسُ للجاني تَعزيراً ورَدعاً عن معاصي اللهِ تَعالى) . [الفروق 4: 79]

وهكذا توجدُ مواردُ أخرى تعرّضَ لها المُحدّثونَ والفقهاءُ في كتبهِم ، نحو : الحبسِ في الإيذاءِ الجسمي بغيرِ الجرحِ [التّمثيل] ، والحبسِ في السبّ والإيذاءِ والافتراءِ ، والحبسِ في السّحرِ وأضرابهِ ، والحبسِ لاصحابِ السّلوكِ المُنحرفِ ، وحبسِ المُرتدّ ، والحبسِ في الفحشاءِ ، والحبسِ في الخمرِ والمُسكراتِ، والحبسِ في مسائلِ الزّوجيّةِ ، وحبسِ الجاسوسِ ، وحبسِ العاملِ الخائنِ وغيرِها .

وقد وصف البعض أن الإمام الكاظم عليه السلام بأنه سجين سياسي بحسب المصطلح المعاصر ، ولا أجد ان هذه الصفة وهذه التهمة

تثبت ايضا على الامام ع أو تنطبق عليه ، لأنه لم يكن معارضاً سياسياً بحسب الظاهر ولم يخطو خطوة بهذا الاتجاه ، نعم يذكر التاريخ بعض التهم ، منها اثنان ، واحدة مفتراة ، وهي فيما يخص ثورة فخ ، ورغم الدعوة التي وجهها قائد ثورة فخ الى الإمام موسى بن جعفر [ع] للاشتراك في الثورة، إلاّ أن الإمام رفض الدخول فيها لعلمه مسبقاً بنتائج الثورة .

وكان من نتائج فشل الثورة أن وجهت السلطة العباسية إصبع الاتهام الى الإمام بالتحريض والتخطيط لها . وقاد ذلك الى إيداع الإمام السجن عدة مرات ، ثم التلويح بالقتل .

والثانية لا يمكن ان تكون سببا شرعياً للسجن ، وكانا في أول حج للرشيد بعد أن تولى الخلافة . وعندما ذهب لزيارة قبر الرسول [ص]، وقف أمام القبر الشريف وسلّم عليه قائلا : " السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليك يا ابن العم !" مفتخراً بذلك على من معه بقرب نسبه من رسول الله [ص] . فما كان من الإمام موسى بن جعفر [ع] الذي كان حاضراً وقتها إلا أن سلّم على الرسول قائلاً : " السلام عليك يا رسول الله ! السلام عليك يا أبه !" ، فتغير وجه الرشيد على الفور، وبان الغيظ فيه . لكنه أراد أن يكبته ، فقال للإمام [ع] : " هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً !" .

الهداية الأمرية عند أهل البيت ع

(قصة بشر الحافي انموذجاً)

قالَ العَلاّمةُ الحِلّيُّ (ت 726 هـ) : (وعلى يَدِهِ عَليهِ السَّلامُ تابَ بِشْرٌ الحَافي ، لأنَّهُ عَليهِ السَّلامُ – الإمام الكاظم ع - إجتازَ على دارِهِ ببغدادَ ، فَسَمِعَ المَلاهي وأصواتَ الغِناءِ والقَصبِ تَخْرجُ مِنْ تِلكَ الدّارِ ، فَخرجَتْ جارِيَةٌ وبِيَدِها قُمامةُ البَقْلِ ، فَرَمَتْ بِها في الدَّرْب : فقالَ لَها : يا جارِيَةُ ! صاحِبُ هذِهِ الدّارِ حُرٌّ أم عَبْد ؟ فَقالَتْ : بَلْ حُرٌّ فَقالَ : صَدَقْتِ ، لَو كانَ عَبْداً خافَ مِنْ مَولاه ! .

فَلَمّا دَخَلَتْ قالَ مَولاها وهُوَ على مائِدَةِ السُّكْرِ : ما أبطَأكِ عَلَينا ؟ فَقالَتْ : حَدَّثَني رَجُلٌ بِكَذا وكَذا ، فَخَرَجَ حافِياً حَتّى لَقِيَ مَولانا الكاظِمَ عَليهِ السَّلامُ فَتابَ عَلى يَدِهِ .) مِنْهاجُ الكَرامَةِ ص59 .

وَذَكَرَها القاضِيّ نورُ اللهِ التُسْتَري في مَجالِسِ المُؤمِنينَ ج2 ص410 عَنِ العَلاّمَةِ الحِلّي .

تعليق :

عالَم الأمر هو الوجه الآخر لعالم الخلق (ولله الخلق والأمر) ، وهو الوجه الملكوتي لعالم المُلك (الخلق) ..

قوانين عالم الأمر مختلفة عن عالم الخلق ، فينعدم فيه الزمان مثلاً (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) ، وكذا الهداية (التي هي هدف موضوعنا هذا) فإنها تجري في هذا العالم – عالم الأمر - بأساليب مغايرة وتكون نتائجها مضمونه .

والهداية في عالم الأمر لها أئمتها الذين يجيدون استعمالها (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) . وفي المقابل فإن الذي يستحق أن يُهدى بالهداية الأمرية ينبغي أن يتوفر على شروط خاصة ، فهذا بشر الحافي الذي لم يهده الامام الكاظم عليه السلام لا بالسيف ولا بالمحاججات العقلية ولا بالبراهين النقلية بل لم يره ولم يقابله وانما أرسل له جملة واحدة مع مملوكته فصعقته وجعلته ينقلب من أقصى الشمال الى أقصى اليمين (لو كان عبداً لخاف من مولاه) ..أهل البيت ع لديهم هذه الهداية ولكن تحتاج الى استحقاق خاص ..

ونفس الشيء حصل مع الجارية التي بعثها هارون الى الامام عليه السلام في سجنه ظناً منه أنه يستطيع فتنته ، واليك الخبر :

وكانت من المحاولات البائسة - لهارون - هو ارساله إلى الإمام الكاظم عليه السلام جارية وضّاءة بارعة في الجمال والحسن ، أرسلها بيد أحد خواصّه لتتولى خدمة الإمام ظانّاً أنه سيفتتن بها .

قال العامري: إنّ هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفةً لها جمال وضّاءة؛ لتخدمه في السجن، فقال: قل له: ﴿ ... بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها.

قال : فاستطار هارون غضباً وقال : ارجع إليه، وقل له : ليس برضاك حبسناك ، ولا برضاك أخذناك ، واترك الجارية عنده وانصرف ، قال : فمضى ورجع ، ثُمّ قام هارون عن مجلسه ، وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها ، فرآها ساجدةً لربّها ، لا ترفع رأسها ، تقول : قُدّوس سبحانَك سبحانَك .

فقال هارون : سحرها والله موسى بن جعفر بسحره ، عليّ بها ، فأُتي بها وهي ترعد شاخصةً نحو السماء بصرها ، فقال : ما شأنك ؟

قالت : شأني الشأن البديع ، إنّي كنت عنده واقفةً وهو قائم يصلّي ليله ونهاره ، فلمّا انصرف عن صلاته بوجهه وهو يسبّح الله ويقدّسه ، قلت : يا سيّدي هل لك حاجةٌ أُعطيكها ؟

قال : وما حاجتي إليك ؟ قلت: إنّي أُدخلت عليك لحوائجك ، قال : فما بال هؤلاء ؟

قالت : فالتفتُّ فإذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أوّلها بنظري ولا أوّلها من آخرها ، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج ، وعليها وصفاء ووصائِف لم أرَ مثل وجوههم حُسْناً ، ولا مثل لباسهم لباساً، عليهم الحرير الأخضر والأكاليل والدرّ والياقوت، وفي أيديهم الأباريق والمناديل ، ومن كلِّ الطعام ، فخررت ساجدةً حتى أقامني هذا الخادم ، فرأيت نفسي حيث كنت .

قال : فقال هارون : يا خبيثة لعلّك سجدت فنمت ، فرأيت هذا في منامك ؟ قالت : لا والله يا سيّدي إلاّ قبل سجودي رأيت فسجدت من أجل ذلك ، فقال الرشيد : اقبض هذه الخبيثة إليك ، فلا يسمع هذا منها أحد ، فأقبلت في الصلاة ، فإذا قيل لها في ذلك ؟ قالت : هكذا رأيت العبد الصالح ، فسئلت عن قولها ؟ قالت : إنّي لمّا عاينت من الأمر نادتني الجواري يا فلانة ابعدي عن العبد الصالح حتى ندخل عليه ، فنحن له دونك ، فما زالت كذلكَ حتّى ماتت، وذلك قبل موت

موسى بأيّام يسيرة . (المناقب: ج 3، ص 415؛ بحار الأنوار: ج 48، ص239) .

رأي الإمام عليه السلام
في مسألة العمل مع السلطة الجائرة

في تاريخ حياة الامام الكاظم عليه السلام تُذكر حادثتان حصلتا وتعامل معهما الامام عليه السلام بحكمين مختلفين رغم أنهما من حيث الظاهر يبدوان حالة واحدة وهما : منع الامام الكاظم ع صفوان الجمّال من أن يكري جماله لهارون الرشيد في رحلة الحج ، في حين لم يسمح لعلي بن يقطين من ترك وظيفته كوزير في سلطة هارون العباسي ، رغم أن عمل صفوان الجمال مؤقت ومتواضع نسبة الى المنصب الدائم والرفيع الذي يتسنّمه ابن يقطين !!..

وهذا الإشكال وجيه والإجابة عنه نافعة وعملية بنفس الوقت ، ولحلّ هذا الإشكال نقول - والله أعلم - :

١. ان الإمام عليه السلام قد بيّن العلّة وأعطى الحكمة من منع كل منهما ، فقال للجمّال : (.. يا صفوان ، أيقع أكراك عليهم ؟ قلت : نعم جُعلت فداك ، فقال لي : أتحبُّ بقاءَهم حتى يخرج كراك ؟ قلت

: نعم ، قال : فمن أحبَّ بقاءهم فهو منهم ، ومَن كان منهم ورد النّار ..) ، وقال لابن يقطين (.. لا تفعل فان لنا بك انساً ولإخوانك بك عزا وعسى ان يجبر الله بك كسراً ويكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه ، يا علي كفارة اعمالكم الاحسان الى اخوانكم ..) .

٢. لوظيفة ابن يقطين فائدة عامة للمؤمنين وان كانت فيها خدمة للسلطة ، اما في عمل الجمّال فائدة خاصة وضيّقة في قبال خدمة السلطة ايضا ، من هذا كانت العوائد في وظيفة ابن يقطين اكبر من الخسائر اذا صح التعبير .. بل اعطى عليه السلام في ذلك قاعدة : كفارة اعمالكم الإحسان الى اخوانكم .

٣. بحسب ما ورد أن بعض اصحاب الإمام عليه السلام كانت لهم وظائف حساسة بالسلطة ، مثل (حفص بن غياث الكوفي) تولى قضاء ببغداد الشرقية ثم قضاء الكوفة ، و (عبد الله بن سنان بن طريف) كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد ، و (الفضل بن سليمان) كان يكتب للمنصور والمهدي .. ولعله كان هذا منهجاً وأسلوباً عند الإمام ع في مواجهة السلطة ولكن بطريقة اختراقها من الداخل ومراقبتها عن كثب ..

٤. كان ولاء الجمّال للإمام ظاهراً ومعلناً بحسب الظاهر بدليل ان هارون توقع ان الامام الكاظم ع هو الذي أشار اليه ببيع جماله ، في حين كان ولاء ابن يقطين سرّياً ، بدليل أن الغلام الذي طرده ابن يقطين ذهب وأوشى عليه عند هارون بأن ابن يقطين يقول بإمامة موسى بن جعفر .. مما يعني ان هارون لا يعلم بذلك .. وعليه : كأن الامام لا يريد ان يعطي مشروعية معلنة للسلطة من خلال سماحه للشيعة - المعروفين بتشيّعهم - بالعمل معها ..

٥. قد يكون الأمر راجع الى طبيعة شخصية كل من الجمّال وابن يقطين ، فالإمام بطريقته يعرف المصلحة والمفسدة التي قد تنعكس على كل منهما في حالة ترك العمل او الاستمرار عليه ، ولهذا كان الإمام دقيقاً مع الجمّال عندما سأله عما يجول في قلبه .. ! فتأمل

٦. ذهاب هارون الى الحج هو ليكون أميراً للحج ، وأمير الحج هو وظيفة دينية وشرعية خالصة لا تجوز الا لأهلها في حين ان السلطة هي ملك ومن أمور الدنيا وإدارة شؤون معيشة الناس لا تنحصر بأهل الدين ، فقد ورد (لا بد للناس من أمير برا كان او فاجرا) ، ومنه نفهم ان مساعدة السلطان الجائر في أمور الدين لا تُقبل بحال ، أما في امور الدنيا فيمكن ولكن بشروط ..

والدرس الذي نأخذه من هذه القضية أن العمل مع السلطان الجائر يحتاج الى تقدير المنفعة واحتساب العوائد وقراءة طبيعة الظرف ودراسة الأمر من جوانب متعددة ، وكذلك تعود الى طبيعة شخصية العامل معها ومدى تأثر نفسه ودينه من جراء هذا العمل ، ولعل القضية تحتاج الى مأذونية من الحاكم الشرعي ..

البهلول ، عاقل فرّ بدينه

من الظواهر الفريدة التي حدثت في أيام الإمام الكاظم عليه السلام هي ظاهرة البهلول ، وهو أبو وهب ، بهلول بن عمرو الصيرفي الكوفيّ ، وحسب ما قيل فيه أنه (كان من أصحاب الامام جعفر الصادق (ع) و أنه كان يستعمل التقية ، وان الرشيد كان يسعى في قتل الامام الكاظم (ع) ويحتال في ذلك ، فأرسل إلى حملة الفتوى يستفتيهم في إباحة دمه متهما إياه بارادة الخروج عليه ومنهم البهلول . فخاف من هذا واستشار الكاظم (ع) فأمره بإظهار الجنون ليسلم) مما نُقل في أعيان الشيعة ج٣ ص٦١٧ .

لا نريد ان نتحدث عن فطنة البهلول ولا استعراض مواقفه وطرائفه وقصصه مع هارون العباسي او مع غيره ولكن نريد أن نتحدث عن ظاهرته من جهات اخرى نافعة :

الجهة الأولى : العقل والعلم والفقاهة .. يستثمرها الانسان للخير وللحق وللفوز بالآخرة ، اما عندما تكون سبباً لعكس ذلك فيكون التبرء منها والتخلي عنها هو الأحجى بل هو منها .. تخلّى البهلول عن مقامه العالي وعن شأنيّته الاجتماعية مقابل أن يفرّ بدينه ويحفظ آخرته ، وقضى ما يقارب الربع قرن من عمره الشريف على هذه الحال كما ورد .

الجهة الثانية : بأي ابتلاء كان يعيش الائمة عليهم السلام وشيعتهم ، وبأي خوف وتقية ، وبأي ضيق وعسر كانوا يقضون ايامهم ومع اي اعداء كانوا يتجاورون ..!! ما فعله البهلول يغني عن كل تحليل وكل استقصاء لتاريخ التشيّع ، وينبىء عما وراءه من مصائب وابتلاءات ، ويصدّق كل ما ورد من مظلومية ..

الجهة الثالثة : نسأل كم بهلول لم ينقله لنا التاريخ ، وكم متنكّر لتشيّعه وإيمانه في ايام الكاظم ع وغيره من الائمة ..!!

الجهة الرابعة : لم يهرب البهلول من مسؤولياته ، وإنما غيّر الأسلوب والطريقة فقط اضطراراً ، استثمر البهلول شخصيته التنكرية في اداء ادوار مهمة ، في الوعظ والإرشاد ونصرة الحق وازهاق الباطل وحفظ التشيع ومساعدة الفقراء والمؤمنين .. الخ

الجهة الخامسة : هذا نوع عالي المستوى وصعب وفريد من بين أنواع وأشكال التقية التي قال عنها الإمام الصادق ع (التقية ديني ودين آبائي) و (من لا تقية له لا دين له) .

اذن هذه اطلالة على امامة موسى بن جعفر عليه السلام ، وعلى الشيعة في أيامه صلوات الله عليه ، ولكن من نافذة تاريخية أخرى لا يُنظر من خلالها في العادة ..

ولا بد من القول ، أن قصة البهلول ان لم تثبت تفصيلاً فإنها ثابتة إجمالاً ، وان لم تصدق بالأقوال فإنها صادقة بالمضامين ..

واقعة فخ ، الطف الصغرى

لا يمكن لقارىء حياة الإمام موسى بن جعفر ع قراءة تحليلية وقراءة جيدة للتاريخ أن لا يقف عند اسباب وأحداث ونتائج واقعة فخ ، هذه الثورة العلوية المهمة والتي قادها الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام على خلفية المضايقة الشديدة التي مارسها بنو العباس على العلويين من ذرية الرسول صلوات الله عليه ، وخاصة في ايام الهادي العباسي الذي شدّد على العلويين و« ألحّ في طلب الطالبيين وأخافهم خوفا شديداً وقطع ما كان لهم من الأرزاق والأعطية » تاريخ اليعقوبي ، ج 2 ، ص 404 .

ومن جانب آخر ولّي المدينة رجلاً من أحفاد عمر بن الخطاب فشدّد هو أيضاً على الطالبيين وأساء إليهم ، قال اليعقوبي : فلما اشتدّ خوفهم اجتمعوا عند الحسين صاحب فخ وقالوا : أنت رجل أهل بيتك وقد ترى ما نحن فيه من الخوف ، فقال الحسين: إني وأهل بيتي لا نجد ناصرين فننتصر ، فبايعه عدد كثير .

وتذكر بعض الروايات التاريخية ان المدينة سقطت على يد الثوار ثم توجهوا الى مكة حيث موسم الحج وعندما وصل خبر خروج الحسين إلى الهادي العباسي ، أمر وجوه العباسيين الذين قد ذهبوا إلى مكة للحج أن يتهيؤوا لمقابلة الحسين وأمّر محمد بن سليمان عليهم . فانطلق جيش العباسيين إلى المدينة فالتقي الجيشان يوم التروية (8 ذي الحجة ١٦٩ للهجرة) في منطقة «فخ» شمال مكة بفرسخ ، وعُرض على الحسين الأمان ، إلا أنه رفض فبدأت الحرب وقتل الحسين وكثير من أعوانه كما أُسِر بعضهم وهرب آخرون .

لقد قُتل في واقعة فخّ نحو مئة نفر من ذرّية السيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وقُطعت رؤوسهم ، وسُبيت النساء والأطفال ، ثمّ أُرسلت رؤوس القتلى إلى الطاغية موسى الهادي ومعهم الأسرى ، وقد قُيّدوا بالحبال والسلاسل ، ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد ، فأمر الطاغية بقتل السبي حتّى الأطفال منهم على ما قيل ، فقُتلوا صبراً وصُلبوا على باب الحبس .

وروى المسعودي أن أجساد شهداء فخ بقيت ثلاثة أيام على وجه الأرض حتى أكلتهم السباع والطير ومن هنا وصفها الإمام الجواد (ع) بأنه لم يكن لأهل البيت (ع) بعد الطفّ مصرع أعظم من فخّ . وروي أن الإمام الكاظم (ع) كان يبكي شهداء فخّ ويبتهل الى الله بهلاك عدوهم ويدعو عليه بالويل والثبور والعذاب الأليم ، كما تكفّل اليتامى والاطفال والأرامل العلويات ..

ذكرها دعبل الخزاعي في قصيدته

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ نالها صلوات

ولنا على هذه الواقعة بعض التعليقات :

الأولى : نعرف منها مقدار الضغط الكبير الذي كان يمارسه بنو العباس على العلويين الى الدرجة التي يكون فيها خيار الثورة خياراً وحيداً للخروج من هذا الإرهاب والعنف الشديد رغم توقع مأساوية النتيجة وفضاعتها على القائمين بها وبما يشبه الانتحار ، حيث أخبرهم بذلك الامام الكاظم ع عندما جاء اليه الحسين يطلعه على ما يريد فعله ، فقال له الامام : (يَا ابْنَ عَمِّ إِنَّكَ مَقْتُولٌ فَأَجِدَّ الضِّرَابَ فَإِنَّ الْقَوْمَ فُسَّاقٌ يُظْهِرُونَ إِيمَاناً وَيَسْتُرُونَ شِرْكاً وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أَحْتَسِبُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُصْبَةٍ) ..

الثانية : تُطلعنا هذه الثورة على المنهج الذي اتبعه الائمة اتجاه ثورات العلويين ، كثورة زيد بن علي ايّام الإمام الباقر ع وبعده ابنه يحيى بن زيد ، او ثورة محمد ذي النفس الزكية ايام الإمام الصادق ع علاوة على هذه الثورة (فخّ) ايّام الإمام الكاظم ع .. وهو منهج دقيق وحساس ، ففي الوقت الذي لا يمكن للائمة الاشتراك بهذه الثورات بشكل علني وصريح لعدم الإخلال بأهم وظيفة تحملّها الائمة ع وهي المحافظة على خط ومدرسة وإسلام

اهل البيت ع ، نراهم عليهم السلام يخبرون قادتها بالمآل الذي سيكونون عليه ويترحمون على شهداء تلك الثورات ويحرصون على تسجيلها كصفحة واضحة لمظلومية هذا الخط الإلهي وعنجهية وطغيان اعدائهم ومناوئيهم .. فحافظت هذه الثورات على الفاصل الموجود بين خط الخلافة المحمدية وخط خلافة السقيفة ..

الثالثة : خسرت هذه المعركة في المشرق ولكنها ربحت دولة في المغرب ، وهي دولة الأدارسة التي أسّسها إدريس بن عبد الله الملقب بإدريس الأول بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت الرسول محمد بن عبد الله ، بعد أن نجا بنفسه من المذبحة الرهيبة في هذه الموقعة .. استمرت هذه الدولة قرابة قرنين من الزمن .. مدح الامام الرضا ع ابن ادريس ، ويسمى ادريس ايضا حيث ورد عنه (رحم الله إدريس بن إدريس بن عبد الله ، فإنّه كان نجيب أهل البيت وشجاعهم ، والله ما ترك فينا مثله) مجالس المؤمنين ، للقاضي نور الله الشوشتري 2: 286 .

مما يشير الى اطّلاع الائمة على أحوال هذه الدولة ، وأن لها انعكاسات مهمة ، لعلّه تكون سياسية او اقتصادية او امنية او عقائدية على خط ومدرسة أهل البيت عليهم السلام ..

الرابعة : عندما نطّلع على علاقة الطالبيين بالإمام الكاظم ع واهتمامهم برأيه بكل خطوة يخطونها وحرصهم على استحصال وانتزاع الرضا والأذن بحسب ما تسمح به الظروف وخاصة أصحاب ثورة فخّ .. نستطيع أن نقول أن هذه الأحداث السياسية ، مواجهة السلطة وتأسيس الدولة في المغرب هي من أساليب

وتدبيرات الإمام الكاظم ع بشكل وبآخر .. فتحسب لإمامته صلوات الله عليه .

الخامسة والأخيرة : من هذه الثورة وغيرها من ثورات العلويين نعرف مدى غليان الدم عند الطالبيين ومقدار كبريائهم وشجاعتهم اتجاه المظلومية التي يواجهونها .. في قبال منهج الصبر وتحمّل الأذى والتقية التي أجبروا عليها ائتماراً للائمة وحفاظاً على دين وشريعة جدهم صلوات الله عليه ..

باب المراد

١٩٥ هج – ٢٢٠ هج

٨١١ م – ٨٣٥ م

المولود الأعظم بركة

روى ثقة الاسلام الشيخ الكليني طاب ثراه في الكافي بسنده إلى أَبِي يَحْيَى الصَّنْعَانِيِّ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا (ع) فَجِيءَ بِابْنِه أَبِي جَعْفَرٍ (ع) وهُوَ صَغِيرٌ فَقَالَ هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْه" الكافي -الشيخ الكليني- ج1 / ص٣٢١ .

فلقد عبّر الإمام الرضا بصيغة أفعل التفضيل فقال (أعظم بركة) وقد سبقها نفي (لم يولد مولود) ، بل أكد الإمام بما هو أوسع من هذا المعنى ، في الكافي ايضا : عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنْ يَحْيَى الصَّنْعَانِيِّ قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ

الرِّضَا عليه السلام وَ هُوَ بِمَكَّةَ وَ هُوَ يُقَشِّرُ مَوْزاً وَ يُطْعِمُهُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ هَذَا الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ ؟؟

قَالَ(ع): نَعَمْ يَا يَحْيَى! هَذَا الْمَوْلُودُ الَّذِي لَمْ يُولَدْ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلُهُ مَوْلُودٌ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى شِيعَتِنَا مِنْهُ. الكافي: 6360 .

والإمام يقصد ما يقوله ، فما معنى هذه البركة التي اقترنت بهذا المولود وانفرد بها ..!

وسنحاول الإجابة بعدد من الاحتمالات :

الأول : ولادة الإمام الجواد عليه السلام جاءت متأخرة جدا ، فبعد ان تجاوز عمر الامام الرضا ع الأربع واربعين عاما ولم يولد له ولد مع تخييم القلق عند شيعة أهل البيت ع ، وانتشار الدسائس عند اعداء الشيعة وبعض فرق الشيعة المنحرفة كالواقفة .. جاء الإمام الجواد وأقرّعين الإمامية لاستكمال الانوار الإلهية الاربعة عشر الذين بهم كمال الدين واتمام النعمة .. فكأنما ولادته توقفت عليها كل بركات الائمة عليها السلام السابقة واللاحقة له ، لأن هذه السلسلة لا تقبل الاختزال ابدا ..

الثاني : قرّب البعض (وهو الشيخ محمد صنقور ، حوزة الهدى للدراسات الاسلامية) هذه البركة بما أفاده بعض العلماء فيما اختص به الامام الجواد ع دون غيره من الائمة ع وهو التوسل به الى الله بسعة الرزق ، باعتبار ان لكل امام كرامة من الله تعالى يُتوسل به اليه ، فقالوا : لأنَّ الله تعالى جعل التوسُّلَ به سببًا لاتِّساع الرزق والتحصيل لموفور الخير ، ومنه ما أورده الكفعمي في كتابيه المصباح ، والبلد الأمين في أدعية الساعات ، فقد أورد لكلِّ ساعةٍ

من ساعات النهار الإثني عشرَ دعاءً ، وكان كلُّ دعاءٍ مشتملاً على توسُّلٍ بأحد المعصومين الإثني عشر (ع) وقد اختصَّ كلُّ معصومٍ بشأنٍ يُتوسل به إليه ، فالتوسُّل لتحصيل العافية من الأسقام كان بالإمام الكاظم (ع) ، والتوسُّل لكفاية شئون الآخرة وأهوالها كان بالإمام الصادق (ع) ، وأما التوسُّل بالإمام الرضا (ع) فكان للأمن والنجاة في الأسفار ، وأما التوسُّل بالإمام الجواد (ع) فكان للاستغناء وسعة الرزق ، فكان ممَّا ورد في الدعاء الشريف :

(يا مَن دعاه المضطرون فأجابهم والتجأ إليه الخائفون فآمنهم...أسئلك بحقِّ وليِّك محمد بن علي (ع) حجَّتِك البالغة ونعمتِك السابغة ومحجَّتِك الواضحة ، وأُقدِّمه بين يدي حوائجي ورغبتي إليك ان تصلِّيَ على محمدٍ وآل محمد ، وأنْ تجودَ عليَّ من فضلك وتتفضَّل عليَّ من وسعك بما أستغني به عمَّا في أيدي خلقك ، وأنْ تقطع رجائي إلا منك وتخيِّبَ آمالي إلا فيك ، اللهم وأسألك بحقِّ مَن حقُّه عليك واجب ممَّن أوجبتَ له الحق منك ان تصلِّيَ على محمدٍ وآل محمد وأن تبسط ما حظرته من رزقك وتسهِّل لي ذلك وتيسِّره هنيئًا مريئًا في يسرٍ منك وعافيتك برحمتك يا أرحم الراحمين ..) .

الثالث : كلتا الروايتين قابلتان أن تنحصران بالفترة التي ولد بها الامام الجواد وبالعصر الذي جاء فيه ، وهذا الأمر صحيح ، فعند ولادة كل امام يمكن ان نقول هذه العبارة .

الرابع : نحن لا نعرف أية بركة حصلت في العوالم التي لا ندركها وفي الأماكن التي لا ينقلها لنا التاريخ والتي تعود بركتها على المؤمنين ، ولا نشعر الآن بأي بركة نعيش بفضل الإمام الجواد ع وباقي الائمة ، ولا نعرف ماذا ينتظرنا من بركات في الحياة وما

بعد الممات ، ويكفي ان الإمام المهدي ع هو من أولاده الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملأت ظلما وجورا ..

فتنة الإمامة المبكرة

استشهد الإمام الرضا عليه السلام وعمر إلإمام الجواد سبع سنين ، وهذا امتحان عسير واجهته الأمة بحيث استشعر بثقله وفتنته كبار الشيعة آنذاك الى حدّ البكاء كما في الخبر ، وهو امتحان لا يُضمن نجاحه في العادة وقد مرّ به بنو اسرائيل في عيسى عليه السلام ، قال تعالى (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) مريم ٢٩ ، ٣٠ ، وحصل الأمر مع نبي الله عيسى عليه السلام (يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) مريم ١٢

الا أن ما يُحسب لأتباع واشياع أهل البيت هو اجتيازهم لهذا الامتحان رغم صعوبته ، وبمساعدة الإمام الجواد ع نفسه ، ويمكن حصر مقوّمات نجاح هذا الاختبار بثلاثة أمور :

الأمر الأول : هو النص على الإمام عليه السلام ، سواء كان النص من قبل رسول الله صلوات الله عليه على الائمة جميعهم بالإسم ، أو من خلال نص الإمام الرضا عليه السلام والإشارة اليه ، ومنها مثلا : عن صفوان بن يحيى : قلت للرضا (عليه السلام) : قد كنّا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر عن القائم بعدك ؟ فتقول : يهب الله لي غلاماً ، فقد وهبه الله لك فأقرّ عيوننا ، فإن كان كون فإلى من ؟ فأشار الإمام (عليه السلام) إلى أبي جعفر ، وهو قائم بين يديه ، وعمره إذ ذاك ثلاث سنين.

فقلت : هو ابن ثلاث سنين ؟! قال (عليه السلام) : { وما يضرّ من ذلك ، فقد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين } .

الأمر الثاني : اجتماع وتصدي فقهاء وعلماء الشيعة للأمر وتحملهم المسؤولية الكاملة حول ذلك ، فقد أجتمع كبار الشيعة منهم الريان بن الصلت ويونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى وآخرون وخاضوا في الكلام حول المأزق الذي يمرون به حتى بكى بعضهم لشدة الحيرة ، فقال يونس دعوا البكاء حتى يكبر هذا الصبي ، فقال الريان بن الصلت إن كان أمر من الله جل وعلا فأبن يومين مثل أبن مائة سنة وإن لم يكن من عند الله فلو عمر الواحد من الناس خمسة آلاف سنة ما كان يأتي به السادة أو بعضه وهذا مما ينبغي أن ينظر فيه ، فقد سافر الى مكة بعد إستشهاد الإمام الرضا عليه السلام لأداء مراسيم الحج ثمانون شخصاً من علماء وفقهاء بغداد والمدن الأخرى ، وفي أثناء الطريق عرجوا على المدينة للقاء الإمام الجواد عليه السلام ايضاً ، فنزلوا في بيت الإمام الصادق عليه السلام حيث كان خالياً آنذاك وكان الإمام عليه السلام طفلاً فدخل الى مجلسهم وعرّفه للحاضرين شخص يسمى (موفق)

فنهضوا جميعاً أحتراماً له وسلموا عليه وعندئذ طرحوا اسئلتهم وكان الإمام يجيب عليها بشكل كامل ففرح الجميع (حيث شاهدوا فيه سيماء الإمامة وأطمأنوا بإمامته أكثر) وأثنوا عليه ودعوا له .

الأمر الثالث : تصدي الإمام الجواد ع نفسه في إبراز وإثبات امامته للقريب والبعيد ، وهذه بعض الأخبار الواردة /

١. في الكافي (1 / 383) : (عن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) ، قلت له : إنهم يقولون في حداثة سنك ، فقال : إن الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان (عليه السلام) وهو صبي يرعى الغنم ، فأنكر ذلك عباد بني إسرائيل وعلماؤهم ، فأوحى الله إلى داود (عليه السلام) أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم ، فإذا كان من الغد ، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة ، فأخبرهم داود ، فقالوا : قد رضينا وسلمنا) .

٢. وفي الكافي (1 / 384) : (قال علي بن حسان لأبي جعفر (عليه السلام) : يا سيدي إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك ، فقال : وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل ، لقد قال الله عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله) : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى ، فوالله ما تبعه إلا علي (عليه السلام) وله تسع سنين ، وأنا ابن تسع سنين) .

٣. الكافي (1 / 320) : (عن محمد بن عيسى قال : دخلت على أبي جعفر الثاني (عليه السلام) فناظرني في أشياء ، ثم قال لي : يا أبا علي ، ارتفع الشك ما لأبي غيري) .

٤. وفي رواية الخرائج (1 / 385) : (عن علي بن أسباط قال : خرج علي أبو جعفر (عليه السلام) فجعلت أنظر إليه وإلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر ، فلما جلس قال : يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج في النبوة ، قال الله تعالى : وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وقال : حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً . فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبياً ، ويجوز أن يعطى وهو ابن أربعين سنة) .

ومن نفس هذه الأمور الثلاثة علينا ان نأخذ درساً عملياً في تحديد وتعيين قياداتنا مما هو دون الائمة عليهم السلام ، فالقيادة الحقة تحتاج الى براهين واثباتات وتحتاج الى حجج شرعية وعقلية وروحية لكي يطمأن لها المقود ويسلّم نفسه لشؤون تلك القيادة وجوانبها التي تتولاها ..

بأي غَيْرة أستشهد الإمام الجواد ع

يذكر لنا التاريخ غيرتين كانتا سبباً لقتل الإمام الجواد ع ولم يحسم رأيه بأيهما استشهد عليه السلام ، وهما :

الأولى / غيرة العلماء : وذلك على أثر الخلاف الفقهي الذي وقع في عهد الخليفة العباسي المعتصم حول حدّ السارق والمكان الذي تُقطع منه يد السارق ..! حيث جمع المعتصم العلماء ومنهم الإمام الجواد ع واستفتاهم حول مكان القطع ، واختلفوا عندها بالجواب ، فبعضهم قال من الكرسوع (الزند) بحجة قوله تعالى (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) النساء ٤٣ ، والمسح يكون بالكف .. وبعضهم قال من المرفق ، بحجة قوله تعالى (وأيديكم الى المرافق) المائدة ٦ ، وعندما وصل الأمر للإمام الجواد ع امتنع عن الإجابة ، ولكن المعتصم أقسم عليه بالله أن يعطي رأيه ، وعلى أثر ذلك قال ع : فأما إذ أقسمت عليّ بالله ، فإني أقول : إنهم اخطؤوا فيه السنّة ، فإن القطع يجب ان يكون من مفصل أصول الأصابع فيُترك الكف ..

قول رسول الله ص واله : (السجود على سبعة اعضاء ، الوجه واليدين والركبتين والرجلين) فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها ، وقال الله تبارك وتعالى (وأن المساجد لله) .. (فلا تدعوا مع الله أحدا) وما كان لله لا يُقطع ..

فأعجب هذا الرأي المعتصم وأعتمد عليه وأمر بقطع اليد من مفصل الأصابع .. وهنا يقول قاضي بغداد ابن أبي داوود : فقامت قيامتي وتمنيت أن لم أكن حيّاً ، وبعد ثلاثة ايام صرت الى المعتصم .. الخبر ، فوشى بالإمام ونصح المعتصم بالخلاص من الإمام الجواد ع لأن الحادثة سوف تعزز امامة الجواد وأحقيته عند الناس .. فأخذ المعتصم بالنصيحة ودبروا المكيدة في سمّ الإمام عن طريق أحد الكتّاب .. واستشهد الامام ع . (تفاصيل الخبر في تفسير العياشي ١ : ٣١٩ - ٣٢٠) .

الثانية / غيرة النساء : قيل إن أم الفضل بنت المأمون - زوجة الامام الجواد ع - لما قدمت معه من المدينة - الى بغداد - سمّته ، وذلك بعد أن وقف جعفر ابن المأمون على غيرتها من أم الامام الهادي ع وشدة حب الامام الجواد ع لها ، وأن ام الفضل لم ترزق من الامام الجواد ع ولدا ، فقال جعفر لأخته في ذلك - سَم الإمام الجواد - فأجابته ، فجعلت له السمّ في العنب الرازقي .. فاستشهد عليه السلام على أثره ..(يُراجع مروج الذهب للمسعودي) .

فهاتان روايتان تذكران سبب قتل الإمام والجهة التي قامت بقتله والطريقة التي مات بها سلام الله عليه ، ولا بد من تعليقات :

١. الروايات التاريخية تُثبت أصل سمّ الامام عليه السلام واستشهاده على أثر ذلك وأن قاتله هو المعتصم العباسي لعنه الله بغض النظر عن اليد التي نفذت الجريمة والطريقة التي نفذت بها ..

٢. يُستفاد من هذه الروايات ايضاً مدى الأثر والبغض والمكيدة التي تُخلفها الغيرة وحب الأنا عندما تتملك صاحبها ، سواء كان صاحبها بعقلية وعواطف امرأة أم بعقلية فقيه وقاضي ..!!

٣. لعل امتناع الإمام الجواد ع عن ابداء رأيه في محضر أُناس قريبين من السلطة ولهم عندها وجاهة خاصة وأن هذا الرأي سيزلزل عروشهم تلك .. ناتج عن العواقب التي يعرفها الإمام والنتائج الوخيمة التي ستسفر عنه .. ولهذا حاول أن يتجنبها وأن يقدّم الأهم على المهمّ .. ولكن اصرار الطاغي على الإجابة جعل الامام بين امرين ، عدم اجابة طلب الخليفة .. وهذا لا يخلوا من خطورة كبيرة ..!! أو تأييد الاراء الخاطئة للفقهاء .. وهذا ما لا يصدر عن مثله عليه السلام ولا يشهد بزور .. !! فلم يكن سوى ابداء الحكم الإلهي بذلك .. والله العالم

٤. توضح رواية المسألة الفقهية كيفية معالجة المسألة من قبل الإمام عليه السلام وءلك من خلال القرآن الكريم والسنّة النبوية معاً ، وتبيّن مدى أهمية السنة في تفسير القران واستنباط احكام الدين ، في حين نرى أن الخطأ الذي وقع فيه غيره هو بسبب الاعتماد على رأيه في تفسير القرآن واستنباط الحكم دون الرجوع الى أرباب القرآن وعدله ..

ما الذي قتل الإمام الجواد ع .. ؟

لم يذكر التأريخ ان الإمام الجواد عليه السلام قام بثورة ضد النظام القائم انذاك ، ولم يذكر أن هناك ثمة تخطيط من قبله عليه السلام لذلك ، ولا حتى من أصحابه الخاصّين ، فلم يشكّل لهم معارضة ولم يكن مصدر ازعاج للدولة ..!! كان من أسرة قريبة بحسب الظاهر من النظام الحاكم ، فأبوه كان ولي عهد رسمي ، وهو عليه السلام كان صهر الخليفة المأمون .. !!

وهنا يبرز السؤال : لماذا تَقْدم السلطة على قتل الإمام الجواد ..!!

قد ذكرنا في الموضوع السابق ان الامام الجواد ع قد قتلته غيرتان : غيرة النساء وغيرة العلماء ، فبطلة الأولى هي زوجته أم الفضل - ولا فضل لها - ، وهي بنت المأمون .. وبطل الثانية هو ابو داوود وقاضي بغداد - البعيد عن اسمه ومنصبه بعد المشرق عن المغرب - .. ! الا أننا قلنا أن هاتين الغيرتين استغلهما الجاني الحقيقي في

قتل الامام وباتتا سبباً ثانوياً بعد السبب الرئيس لهذه الجريمة .. ! فما السبب الرئيسي اذن ..؟!

والسبب الرئيسي كما نعتقد هو العلم والشعور والإحساس الداخلي الراسخ لدى السلطة بأحقية الإمام - وآبائه - بالخلافة وقيادة الأمّة ، مع تعزيز هذه الأحقية بمرور الزمن بما يصدر عن إلإمام من براهين وإثباتات عن طريق علم يظهر في سؤال او مناظرة ، او تقوى وورع تطفحان في اختبار معين ، او كرامة تتجلى في موقف ما .. الخ

هذا العلم وهذا الإحساس والذي يتعزز ويقوى في النفس يوماً بعد يوم يشكّل عامل ضغط رهيب على صاحبه ونزاع قاتل من الداخل ، يُترجم الى الخارج بإرادة - من أجل التخفيف - أو بدون ارادة - عند طغيانه وثورانه - على شكل تصرفات مختلفة ، تارة تكون ايجابية - نوعا ما - على الائمة ، كالتقرب منهم ومحاولة اعطائهم منصب في الدولة أو التقارب الأسري او اظهار بعض الاحترامات والاعترافات بحقهم وكما فعل المأمون في بعض تصرفاته مع الامام الرضا ع والامام الجواد ع ، أو يتحوّل الى اجرام بشع وحقد صارخ وضغينة معلنة ينتهي بتعذيب الائمة أو قتلهم ..!!

هذا المارد الشيطاني المستقر في نفس وباطن هذه الأسر - بني أمية وبني العباس - افقدهم صوابهم وكان وراء كل الافعال المضطربة والمتناقضة اتجاه أهل البيت عليهم السلام ..

فالعقل الباطن المتكون من العلم بعلوّ كعب أهل البيت شرفاً وعلماً وورعاً وأحقيةً بقيادة الأمة ، والمتكون ايضاً من الشعور بالذنب والتقصير اتجاه هذا العلم ، والمتكون كذلك من تأريخ حافل بالجرائم والاثام اتجاه أهل البيت ، وعدم الاطمئنان من المستقبل القريب والبعيد .. كل هذا كان هو العقل المدبر في ملفّ جريمة قتل الجواد عليه السلام وبقية الائمة من ابائه وابناءه ..

هنالك غيرة ثالثة يمكن ان نذكرها ونركز عليها هنا ، وهي غيرة القرب من الله او غيرة التدين او ما شئت فعبر ، فهذا الطريق لا يخلو من هكذا صراعات ايضا رغم غرابتها في الحقيقة ، الا ان الغرابة تذهب عندما نستذكر الحادثة القرآنية التي حصلت بين آدم وإبليس عليه لعائن الله ، او الحادثة القرآنية التي حصلت بين هابيل وقابيل ، او بين أولاد يعقوب وأخيهم يوسف ع ، او بين اليهود والمسلمين .. الخ ، كل هذه الصراعات تنطوي على هذا النوع من الغيرة وعلى هذا الشكل من التسابق غير المحمود والتباغض فيما ينبغي ان يكون سبباً للتوادد ..!

هذا الإنسان مجبول على حب التميّز وحب التفرّد ، وإذا ما حصل شيء اتجاهه ضد هذه الجبلّة فإنه سيتحول الى كتلة من الأحقاد وستصدر عنه تصرفات خطيرة إذا لم يوجد عنده ما يقابلها ويهدىء من حدّتها ويقلل من انعكاساتها وآثارها السلبية ..

الزوجة العدوّ

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ } .. التغابن ١٤

عداوة بعض الزوجات لأزواجهن من الظواهر الإجتماعية التي امتلأ بها تأريخ البشرية وأثبتها القرآن الكريم ، وكما نرى أنه جاء التعبير صريحاً في الآية الكريمة أعلاه على الرغم من أن التفسير الوارد عن أهل البيت عليهم السلام لهذه الآية كما في تفسير القمي برواية أبي الجارود عن الامام الباقر ع : .. أن الرجل كان اذا أراد الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه واله تعلّق به ابنه وامرأته وقالوا : ننشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضع بعدك ، فمنهم من يطيع أهله فيقيم ، فحذرهم الله ابناءهم ونساءهم ونهاهم عن طاعتهم .. الرواية ، ومن التفسير نفهم أن الآية تسمّي منع الزوجة زوجها من ان يمارس واجباته الدينية عداوة ..! فتأمل بما هو أشدّ من ذلك ..!

وقد ابتلى بعض الانبياء بزوجات كان ميلهنّ الى اعداء أزواجهن ، كنوح ولوط ، قال تعالى : { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ } .. والآية هنا تتحدث عن الخيانة لوظيفة أزواجهن الدينية وخيانة الرسالة التي جاءوا بها والمهام الإلهية المكلفين بأداءها.. وليس خيانة البغي والفُحش - والعياذ بالله - .

والزوجة العدوّ مما ابتلى به بعض ائمتنا عليهم السلام ايضا ، كالامام الحسن والامام الجواد عليهما السلام اللذان تجاوزت عداوة زوجاتهما لهما الى التعاون مع مَن نصب العداوة لهما بحيث استعملهن في دسّ السمّ والتورط بقتل إمام معصوم ..!!

ولعل السؤال الذي يقفز الى الذهن انه كيف يختار الانبياء والائمة وهم المعصومون المسددون هكذا زوجات ..!!

ومما يمكن قوله هنا ان الانبياء والائمة لديهم الدراية الكافية على اختيار الزوجة الصالحة ، بدليل زوجاتهم اللاتي انجبن الانبياء والائمة من أولادهم ، ولطهارتهن ومقامهنّ استحقنّ ان يكونن وعاءً لأشرف ما خلق الله تعالى .. الا ان الظروف المحيطة تحتم احياناً للإقدام على هكذا خطوة لمصلحة يراها المعصوم ، كإكراه الامام الجواد ع من زواجه من - ام الفضل - بنت المأمون بمكيدة مأمونية جديدة غير خدعة ولاية العهد هدفها إيهام العامة والحدّ من ثورات العلويين ، فأجبر الإمام من هذا الزواج بحجة أن المأمون يطمع في أن يكون جدّاً لحفيد من نسل علي بن ابي طالب ، ولكن

خاب مسعاه فيما أراد ولم تنجب هذه اللعينة من الامام الجواد ولدا ..!

وقد تكون الزوجة العدوّ نوع ابتلاء وامتحان يبتلى به الصالحون ، وهذا ما تشير اليه تكملة الاية التي تصدرت هذا المقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ..) فوعد الله على العفو والصفح غفران ورحمة ..

وكما ان الرجل يُبتلى بزوجة تكون عدوة له كذلك تبتلى بعض المؤمنات الصالحات بأزواج أعداء لهن ، كآسيا بنت مزاحم التي ابتلاها الله بزوج كفرعون ، فالمعيار اذن هو الابتلاء والامتحان وزيادة الأجر ، علاوة على انه يضع ضمن التخطيط الالهي العام والتخطيط الالهي الخاص بتلك الوظيفة او هذه المهمة ..

محمد بن أبي عمير ، الفقيه المُمتَحن

رغم أن ضريبة حفظ الإسلام والدفاع عن مسلك الحق تحمّلها ائمة أهل البيت ع بصورة خاصة وبمستوى اكبر وأكثر إيلاماً واذية ، الا ان وراء أهل البيت ع شيعتهم ومواليهم ومحبيهم ، فتحملوا ما تحملوا ايضاً من البلاءات الشديدة والاختبارات العسيرة ، كانوا ولا زالوا يدفعون ضريبة موالاتهم واتّباعهم للعترة الطاهرة ، ولقد كان ذلك في عين الله اولاً ثم بعين العترة عليهم السلام ثانيا ، ولهذا ورد عنهم ما يشير الى ذلك ، في الكافي : عن أبي علي الأشعري ، عن معلي بن محمد ، عن الوشاء ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنا صبر وشيعتنا أصبر منا، قلت : جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأنا نصبر على ما نعلم ، وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون .

ومحمد ابن ابي عمير من فقهاء الشيعة وكبّار رواة الحديث ، تشرّف بمصاحبَة ثلاثة ائمة هم (الكاظم والرضا والجواد) صلوات الله عليهم ، قال عنه الشيخ الطوسي : إنه كان أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم نسكا وأورعهم وأعبدهم ..

بسبب صفاته ومكانته وصحبته للائمة ع تعرّض لأقسى انواع التعذيب من قبل العباسيين ، وقيل أنه بقي في السجن ١٧ عاماً .

ارادت منه السلطة ذات مرة ان يعطيها اسماء الشيعة ، فرفض وامتنع وقال اعرف من الشيعة محمد ابن ابي عمير و محمد بن ابي عمير و محمد بن ابي عمير .. الخ فضُرب حتى أغمي عليه ..

يقول رضوان الله عليه : في حالة من حالات الضرب صارت عندي لحظة ضعف ، حاولت ان انطق واذكر اسماء جملة من الاصحاب ، فتمثل امامي شيخي محمد بن يونس بن عبد الرحمن وكان متوفياً حينها وهو يقول لي : يا محمد اياك ان تنطق بكلمة ولو متَّ تحت السياط .. فاستعدت رباطة جأشي وصمدت ..

حملوه بعدها الى بيته وصودرت أمواله ونُهبَ داره حيث كان بزازاً وتاجرا .. واصبح بين عشية وضحاها فقيراً لا يملك شيئا ..

يقول السيد محمد باقر الصدر : قصة نهب داره هي التي جعلتنا نخسر كثيراً من أسانيد رواياته ..

فكتبه كانت مما صودر منه واصبحت اكثر رواياته التي اشتغل بإعادة كتابتها بعد الحادثة من المراسيل .. ولهذا يعدّ جملة من الفقهاء مراسيل ابن ابي عمير بقوة المسانيد ..

ومما يُذكر شاهداً على شدة ورعه هو أن احد عملائه المتلكئين في سداد دينه عندما كان ذا ثراء جاء ليسدد له الدَين بعد ان سمع بما جرى على ابن ابي عمير من ابتلاء وفقر .. وقال له : يا شيخي اني كنت معسراً ولما سمعت بما جرى عليك بعت داري وجئت لأسدد ما بذمتي لكي تستعين بالاموال على امور دنياك ..

وهنا ظهر معدن هذا الفقيه الورع ، وقال له : سمعت من اشياخي عن الامام جعفر الصادق ع انه يقول : (لا يباع دار سكن في وفاء دين) خذ هذا المال اليك والله خير الرازقين ..

يقول السيد باقر الصدر ما محصله : انه التزم هنا بآداب الرواية وليس بالتزاماتها الواجبة ، لان الحرمة منحصرة عند اجبار الدائن للمَدين ببيع داره ، اما عند تبرع المَدين بذلك فتصبح مكروهة .. وهو ابتعد عن الكراهة هنا وفاءً لإمامه ..

بهكذا اصحاب خاض الائمة عليهم السلام عباب بحار الظلم والطغيان ، وبهكذا مخلصين واتباع وصَلَنا مذهب اهل البيت عليهم السلام ..

كلّما كانت مرحلة التأسيس اكثر صرامة واكثر التزاماً من اهلها بما أسسوه كلما كان المؤَسَس ارسخ جذوراً وأطول عمراً واعلى شأنا ، كلما كانت البدايات مُحرقة كلما كانت النهايات اكثر اشراقا ..

توفي ابن ابي عمير في سنة ٢١٧ للهجرة وعمره ٩٠ عاما ..

ملاحظة : النصوص المذكورة اعلاه جاءت بالمضمون

علي بن مهزيار الأهوازي

لا يمكن ان نقرأ حياة الإمام الجواد عليه السلام بدون المرور بشخصية اسلامية موالية مرموقة في علمها وعملها وتحجز رقماً مميزاً ومتقدماً بين أصحاب الائمة الثلاثة (الرضا والجواد والهادي) صلوات الله عليهم ، وهو أبو الحسن ، علي بن مهزيار الأهوازي الدورقي ، من أعلام القرن الثالث الهجري ، كان وكيلاً عن الأئمّة (عليهم السلام) في بعض المناطق وروى عنهم اقوالهم وعلومهم في شتى المجالات ..

قال الشيخ النجاشي : « اختصّ بأبي جعفر الثاني (عليه السلام) ، وتوكّل له ، وعظم محلّه منه ، وكذلك أبو الحسن الثالث (عليه السلام) ، وتوكّل لهم في بعض النواحي ، وخرجت إلى الشيعة فيه توقيعات بكلّ خير ، وكان ثقة في روايته لا يُطعن عليه ، صحيحاً اعتقاده » ، وقال الشيخ الطوسي : « جليل القدر ، واسع الرواية ، ثقة ، له ثلاثة وثلاثون كتاباً » ، يذكر من عبادته أنه « إذا طلعت الشمس سجد ، وكان لا يرفع رأسه حتّى يدعو لألف من إخوانه

بمثل ما دعا لنفسه ، وكان على جبهته سجّادة مثل ركبة البعير » ، بينه وبين الإمام الجواد ع رسائل مهمة يُعرف من خلالها دوره وفضله ، منها :

١ـ أرسل اليه الامام الجواد ع « قد وصل إليّ كتابك ، وقد فهمت ما ذكرت فيه ، وملأتني سروراً ، فسرّك الله ، وأنا أرجو من الله الكافي الدافع أن يكفي كيد كلّ كائد إن شاء الله » .

٢ـ وكذلك : « وقد فهمت ما ذكرت من أمر القمّيين ، خلّصهم الله وفرّج عنهم ، وسررتني بما ذكرت من ذلك ، ولم تزل تفعل ، سرّك الله بالجنّة ، ورضي عنك برضائي عنك ، وأنا أرجو من الله حسن العون والرأفة ، وأقول : حسبنا الله ونعم الوكيل » .

٣ـ وقال (عليه السلام) : « وأسأل الله أن يحفظك من بين يديك ، ومن خلفك ، وفي كلّ حالاتك ، فأبشر فإنّي أرجو أن يدفع الله عنك » .

من هذه الهوية المشرّفة لعلي بن مهزيار نستنتج :

١. ان الأئمة عليهم السلام لم تعطّلهم الظروف الصعبة عن الاستمرار بتربية وتخريج العلماء والفقهاء والشخصيات المهمّة القادرة على تحمّل ونقل علومهم صلوات الله عليهم .

٢. نعرف ان هناك حلقة ومنظومة من الوكلاء ونوّاب الائمة ، تقوم مقامهم وتؤدّي عنهم بعض وظائفهم ، سواءً في الأماكن والمناطق

المتفرّقة أو عند تضييق الخناق عليهم وتعذّرهم عن أداء بعض المسؤوليات ، بسبب الظروف والأحوال التي تحيط بهم ..

٣. نظام الوكالة نظام مهمّ بدأ به الائمة صلوات الله عليهم وأصلّوه في الأمّة ، فهو أسلوب متقدم بالإدارة وطريقة تفرضها طبيعة الأعمال والمهام والمسؤوليات الكبيرة والمتشعبة ، وكذلك تعمل وتؤدي الغرض في شتى الظروف حتى الطارئة منها ، وها نحن نعيش في عصر الغيبة ومنذ اكثر من الف وخمسمائة سنة تحت ظل وبركات هذا النظام وهذا الأسلوب الذي رسمه الائمة صلوات الله عليهم .

٤. اتساع الرقعة الجغرافية لشيعة أهل البيت عليهم السلام وانتشار وجودهم ولم يعد محصوراً في حواضر التشيّع كالمدينة والكوفة ..

٥. اعتماد الشيعة على أنفسهم من خلال الرجوع الى العلماء والفقهاء الذين تغذوا على مائدة علوم أهل البيت وتخرجوا عنهم بدأ يرسم ملامحه في هذه الفترة تمهيداً لانتهاء فترة حضور المعصوم ..

نحن بين يدي دولة لها رئيسها ولها ونظامها ورعاياها ، نعم ، هي دولة تعمل بالظل ، وتعمل وفق نظام دقيق وغاية بالسرية ، هو نظام يعلّمنا كيف يعيش المؤمنون في ظل دولة الطغاة والمستكبرين وبما يضمن لهم الحفاظ على دينهم وعقيدتهم واداء واجباتهم ومسؤولياتهم المتاحة من جهة ، والحفاظ على حياتهم بحسب الممكن من جهة اخرى ..